الجمهـــوريـــة التـــونسيـــة
***
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا
***
جامعة تونس
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس

النشاط الوطني الدستوري بجهة الأعراض، أضواء حول القيادات القاعدية في الفترة ما بين سنة 1934 و سنة 1948

رسالة لنيل شهادة الماجيستير
تاريخ تونس المعاصر

إعداد الطالبة: السيدة راضية غليس الزيدي
إشراف: الأستاذ محمد لطفي الشايبي

السنة الجامعية 2006-2007

الإهـــــــــــــــــداء

إلـــى أبـــي وأمـــي العزيزيـــن

إلـــى زوجـــي العزيـــز

إلـــى ابنتـــي ميســـم

إلـــى ابنـــي محمـــد عزيـــز

إلـــى جميـــع أفـــراد عائلتـــي غليس والزيدي

الشـــــــــكر

اشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث وخاصة الأستاذ محمد لطفي الشابيي الذي وجهني ومدني بنصائح هامة كما اشكر زوجي العزيز لمساعدته وتشجيعه الدائم لي.

اشكر أبي الذي ساعدني وسهل لي القيام بمحادثات ولقاءات مع بعض أهالي مناطق جهة قابس كما اشكر كل من مدني بشهادات شفوية ووثائق وصور تخص بعض المناطق خاصة السيد بـــوبكر عزيز والسيد العروسي دبية والسيد علي بن الصحيي حليفة كما لا أنسى ما وفره لي أعوان وإطارات المعهد الأعلى للحركة الوطنية من مساعدات في البحث.

مقـــدمـــة

لقد تركز بحثنا على الحركة الوطنية بجهة الأعراض وعلى قياداتها التي ظـل العديد منها إلى يومنا هذا مجهولا أو مغمورا لم يقع التعرض إليه ولم يستوف حقه.

وبقيت جل الكتابات المتعلقة بهذه الجهة ظرفية تكتنفها تارة السـرّية وأخـرى الأسطورة خاصة في الفترة ما بعد تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد سـنة 1934 حيث لا تزال المصادر التاريخية لدراستها قليلة والوثائق لا تقدم إلا معطيات محدودة، وحتى الروايات المسموعة لا توفر إلا معلومات ضعيفة متناقضة أحيانا وتتحدث عـن جهة وتغفل جهة أخرى أحيانا وتبرز أشخاصا وتهمل آخرين وفي الكثير من الروايـات يبرز صاحبها دوره البطولي ناسيا من معه وهناك العديد الذي لم يتحدث حتى عن هذا الدور البطولي فلم يدون ولم يسجل شيئا ونسي نشاطه وتحركاته فبقي اسمه موجودا في قائمة المنخرطين داخل الحزب.

فبحثنا جاء *«لإحياء الذات في الماضي واستدراك لما قد سجله التاريخ في حـق الفرد الذي لم يجد في السابق فرصة الدفاع عن دوره»* [1] *فالتاريخ كما هو معـروف «قوة عظيمة للإيحاء والتذكير والتنبيه واستنهاض الهمم ورفع المعنويات»* [2] فأردنـا من خلال هذا البحث أن نساهم في توضيح و إثراء جانب من نشاط الحركـة الوطنيـة ببلادنا وأن نحاول منحها الطابع المحلّي ويكون ذلك بالتالي جزءا من إشعاعها ونجاحها الذي ساهمت في تحقيقه قيادات جهة الأعراض.

1) المنصر (عدنان): االمذكرات الثأرية أو محاكمة الماضي قراءة في بعض نماذج المذكرات السياسية التونسية المعاصرة. في **روافد** عدد 1، 1996 ، ص 29.

2) التيمومي (الهادي): خواطر حول دور الأرياف في الحركة الوطنية التونسية بين 1881-1956. في **روافد** ج 1، عدد1، 1995، ص 11.

وقد شمل البحث الفترة الممتدة بين2 مـــارس 1934 – تاريخ انعقـــاد مـــؤتمر قصر هلال وتأسيس الحزب الحرّ الدستوري الجديد– و17 أكتوبر 1948 تاريخ انعقاد مؤتمره الثالث (مؤتمر دار سليم) وتم التطرق خلاله إلى جذور الحركة الوطنية بجهة الأعراض و نشاط أهلها السياسي في إطار الحزب الجديد من خلال تكوين هيئـــــات و خلايا حزبية داخل هذه المنطقة مواصليـــن معـــه مشـــوار الكفـــاح و التضـــحية واقفين إلى جانبه في المحن التي لم تنقطع حتى سنة 1948.

فهذا ما سنحاول إبرازه في هذا العمل رغم ما وجدناه من صعوبة فـــي إيجـــاد المعلومة الصحيحة نظرا إلى نقص المعطيات الأرشيفية فاعتمدنا خاصة على الشهادات الشفوية على غرار ما أفادنا به السيد **بوبكر عزيّز** و هو مناضل و نقابي واكب وقاوم السياسة الاستعمارية في تلك الفترة، وما أفادنا به المناضل **الطيب بن بلقاســـم نـــاجح** أصيل منطقة الحامة من خلال شهادته المسجلة بالمعهد الأعلى للحركة الوطنية إضـــافة إلى شهادة عدة أشخاص بالجهة أمثال السيد **حسن مرزوق**، ابن المناضل الطاهر دبيـــة (1908–1973) **السيد العروسي دبية** والأستاذ **عز الدين ونيس** الذي مدنا بوثائق تهم المناضل **عمر السراي** والسيد **عبد الله الشناوي** و السيد **صالح قيـــزة** و الأستاذ **بلقاسم بن جراد** الذي مدنا بمجموعة المجلات التابعة لجمعية البحـــوث و الدراسات التاريخية و الجغرافية بقابس و التي كان يشرف عليها في الثمانينيّات. واعتمـــدنا كـــذلك علـــى المذكرات المكتوبة لبعض مناضلي الجهة، أمثال **الصحبي خليفة** (1915–1985) و**عبد الله الغنوشـــــي** و **بلقاسم القناوي** (1907–1987).

فمن خلال هذه الروايات و الشهادات استطعنا صياغة هذا البحث رغم ما تحمله من بعض التناقضات أحيانا و الانحياز أحيانا أخرى، فأغلبهم يتحدث عن نفسه و عـــن جهته، و هنا تطرح قضية الذاكرة و كيف يتعامل معها المؤرخ الذي يجب أن يتـــوخّى أسلوبا علميا موضوعيّا. فإجتهدنا – بعد التمحيص و التثبت– في توظيف معلومات هذه الذاكرة التي أنارت و لو بنسبة محدودة ما سكتت عنه بقية المصادر.

وفي هذا السياق تتبادر للذهن عدة أسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث:

- كيف انخرط أهالي الأعراض في هذا الحزب الجديد؟ و هل كانت لهم تجربة حزبية سابقة؟ و هل نجح النشاط الدستوري في هذه الجهة الصعبة لأنها تحمل الأضداد و المتناقضات و لأن أغلب أهلها في صراع و تناحر؟

- وهل استطاعوا توحيد صفوفهم في إطار عمل سياسي منظم؟

- وماهي أهم القيادات القاعدية بالجهة التي نشطت داخل الحزب الجديد؟

- و هل نجحت تلك القيادات في نشر أفكار هذا الحزب و تنفيذ تعليمات الديوان السياسي و تأسيس شعب دستورية داخل منطقة الأعراض؟

تعريـــف جهـــة الأعـــراض

1. تحديـــد المنطقـــة جغرافيـــا:

تقع منطقة الأعراض في الجنوب الشرقي من البلاد التونسية بين خطـــي العـــرض 33°,32 و 34°,4 شمالا « *فهي السهل الممتد بين ساحل البحر الأبيض المتوسط شرقا ومرتفعات مطماطة غربا* »[3] و« *يتكون الحد من الشمال من بداية البحر إلـــى أصـــل مصب وادي العكاريت الذي يصعد مع مجراه حتى لعقلة سلامة وفيما بين عقلة سلامة ونقطة ملتقى طريقي الحامة وونرف...يتوجه الحد المذكور من مصب واد زس الـــذي يصب بالقسم الجنوبي بخليج قابس ويمتد مع الواد المذكور إلى نقطة كائنة على طريق قابس إلى مدنين ويمر على عرام داخلا فيما بين هنشير الماجني والضفة اليسرى مـــن واد زس* »[4].

تمتاز منطقة الأعراض بخليجها المعروف باسمها والذي يعتبر من أوســـــع وأكبر الخلجان التونسية. كما تمتاز بمناخ متوسطي يلعب البحر دورا هاما في تلطيف درجات الحرارة فيه وبمناخ جاف شبه صحراوي بحكم أنها مطلـــة علـــى الصـــحراء الكبرى مما جعلها منطقة استراتيجية هامة تتحكم و تسيطر على التجارة الصحراويـــة. وكذلك تعدّ المعبر البري الوحيد و الممكن نحو الغرب الجزائري انطلاقا من الجنوب الشرقي الليبي. وهي معروفة بواحتها الغنّاء الجميلة الواقعة بالناحية الغربية للخليـــــج وبأهمية عيونها الفياضة التي تتجمع في مكان مرتفع يعرف باسم رأس العيون وتتولـــد عنها ثلاثة أودية تنحدر من هضبة الظواهرية والكواطنة لتكون في النهاية وادي قابس الذي يصب في البحر[5] والذي عرف بعدم نضوبه[6] و بهذا الوصـــف تعتبـــر جهـــة الأعراض مجالا طبيعيّا متنوعا يجمع بين البحر والسهل والجبل والصحراء.

---

3) الخريطة التوبوغرافية للبلاد التونسية عن التركي عروسية: **المقاومة المسلحة بجهة الأعراض 1952-1954.** كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 1988-1989، ص 13.

4) **الأرشيف الوطني التونسي: الأمر العلي عدد 31 الفصل الأول**، يوم السبت 29 محرم 1321، 18 أفريل 1903.

5) Bechraoui (A): **La vie rurale dans les oasis de Gabès**.Tunis, Publication de l'université de Tunis,1980,pp.44-46.

6) Servonnet (J) et LAFFITE (F): **En Tunisie le Golfe de Gabès en 1888**, Barcelone, **Gabès, Ecosud, 2000, p123.**

وهذا التنوع الطبيعي ولّد تنوعا في النشاط الاقتصادي الذي يجمع بين زراعة سقوية بالواحات ونشاط رعوي بالجبال.

2. تحديـــد المنطقـــة إداريـــا:

خلال القرن XIX كانت منطقة الأعراض ضمن التراب العسكري، « *يشـــرف عليها قائد عسكري بقابس وذلك لحماية المنطقة والتشديد عليها أكثر لأنها منفتحة علـــى الصحراء*»[7]. "*و ابتداء من تاريخ 17 ماي 1895 أصبح يشرف عليها مراقب مـــدني بقابس وبقيت مطماطة وورغمّة ضمن التـــراب العســـكري. وبـــذلك تقلصـــت قيـــادة الأعراض إلى حدود وادي الزس وجربة بعد أن كانت تبدأ من وادي ران شمالا إلـــى الحدود الليبية*"[8]. ولم تدعم السلطة المدنية بالجهة إلا انطلاقا مـــن 1906 اثـــر وفـــاة الجنرال يوسف الليقرو حاكم الأعراض (هناك بعض التضارب فيما يخـــص جنســـيته وديانته واتجاهاته حيث يرجح انه فرنسي الجنسية وهو مسلم، بعض سكان منطقة قابس يدّعون انه جزائري والبعض الأخر يقولون انه فرنسي، عرف بشجاعته ونجاعته ممـــا جعله يحضى بثقة قوات الاحتلال الفرنسي وأصبح قايد الأعراض من سنة 1881 إلى سنة 1906 وقد احتفظت الذاكرة الجماعية لأهالي قابس بصورة سلبية لهذا القايد) [9].

3. أهم مناطق جهة الأعراض:

تتكون منطقة الأعراض من عدة تجمعات سكانية و قرى من أهمها:

مدينة قابس: تتمركز على ضفاف وادي قابس حول الواحـــة وداخلهـــا مقســـمة إلـــى تجمعات سكانية توجد بها: حارة المنزل وهي تجمع سكني يتمركز في *المرتفع البسيط*

7) التركي عروسية: **المقاومة المسلحة بجهة الأعراض...**، مصدر سابق، ص 13.

8) Martel (A): **Les confins Saharo Tripolitains de la Tunisie (1881-1911).** Paris, Publication de l'université de Tunis,P.U.F.1965,Tome1,p66.

9) Kraim (Abdelmajid); **Joseph allegro, caid et colon à Gabès (1881-1906)**. In le sud tunisien, de l'ocupation à l'indépendance, la Manouba, ISHMN,2005, pp 143 à 158.

على ضفة الوادي اليمنى ويتحدث المؤرخون عن وجود سور وخندق و أبواب ثلاثة تحيط بالحارة تؤدي إلى سباط خانقة"[10]. أما سكان حارة المنزل فتواجدوا في« *أربع تجمعات وهم الشمامة وأولاد بوعبد الله وأولاد بيداني والجماعة والبرانية*»[11] كما تواجدت بالمنزل جالية يهودية تركزت بمنطقة خاصة بها تسمى إلى الآن دار الصلاة.

والى جانب حارة المنزل توجد حارة جارة وتسمى أيضا البلد أو جارة الدخلانية وهي منطقة قديمة داخل الواحة تقع بالجهة الشمالية للمنطقة، يعود أصل أهلها إلى البربر ككل سكان الجهة وبها أيضا « *بيعة يهودية موجودة في الجزء الشرقي من البلد ويؤكد البعض أنها أقدم وجودا من البيعة اليهودية بالمنزل*»[12]

قرية مطرش: تقع على ربوة ترتفع على مستوى البحر بعشرين مترا، التف أهلها حول عين تقع بالجهة الشمالية الغربية للقرية تسمى عين مطرش وتكونت الواحة حول هذه العين إذ يعيش أهلها من الفلاحة حيث يمتلكون غابات بها زياتين وأشجار مثمرة بالإضافة إلى تعاطيهم الصيد البحري وهم في الأغلب ينتمون إلى الحزم مثل المزاهيد ورحيم[13].

قرية مارث: تحدها مدينة قابس شمالا ومدنين جنوبا والبحرشرقا وجبال مطماطة غربا. ووصف الرحالة الورثلاني أهلها"*الحمارنة بأنهم« من أجود العرب وأكرمهم نسبا لديهم ... وشرفا عندهم قد جملهم الله برشاقة القد وحسن الحد وهيئة الركوب وزينة الملابس وسعة البيوت ولهم جاه عظيم عند سلاطين تونس*»[14]. ويعود أصل الحمارنة إلى القبائل العربية العدنانية وقد أخذوا من العرب شجاعتهم وقوتهم وعرفوا منذ القديم بهزيمتهم للعدو والانتصار عليه وهذا ما جعلهم يتصدون للمستعمر الفرنسي، وقد دفعه إزعاجهم له إلى أن يغير حدودهم الغربية ويضم قطعة من منطقتهم إلى التراب العسكري بمطماطة.

---

10) بن جراد (بلقاسم): **قابس عبر التاريخ**. قابس، مطبعة الخدمات السريعة، فيفري 2001 ، ص 148.

11) المرزوقي (محمد): **قابس جنة الدنيا**.مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1962، ص 50.

12) **المرجع السابق**، ص 34.

13) بن جراد (بلقاسم): **قابس عبر التاريخ...، مرجع سابق**، ص 166.

14) المرزوقي (محمد): **قابس جنة الدنيا، ....، مرجع سابق**، ص 128.

وفي سنة 1938 أقامت فرنسا خطّا دفاعيّا سمي بخط مارث أو خط (Daladier) ويمتد من البحر إلى منطقة توجان بمطماطة على مسافة تقدر بـ 28 كلم تفاديا لهجوم إيطالي فاشي محتمل من طرابلس وفيما بعد وظفته قوات المحور لإيقاف الجيش الثامن الانقليزي الزاحف من طرابلس إلى الجنوب التونسي بقيادة الجنرال منتقمري (Montgomery).

قرية المطوية: تقع في المنطقة الشمالية الغربية من قابس وتبتعد عنها بحوالي اثني عشر كيلومترا[15] وهي بين البحر شرقا والمدو الزراعية غربا ووذرف شمالا وقابس جنوبا وصفت بأنها «*قرية بإفريقية بينها وبين مدينة قابس نحو خمسة أميال في نخيل وجنات ومياه جارية*»[16] ويتوزع سكانها على منطقتين، سهول منطقة الماية الموجودة في الناحية الجنوبية الشرقية ومنطقة المطوية (البلد) من الناحية الشمالية الغربية.

قرية الحامة: تقع غرب قابس على بعد 33 كلم بين مطماطة وقبلي وتدل تسميتها(Acquise Tacapi TANAE) على وجودها في العهد الروماني بالرغم من عدم وجود آثار دالة على ذلك[17]. يتحدث عنها التيجاني فيقول« *إنها مدينة حاضرة تحف بها غابة نخل وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهي في غاية السخانة ولسخانة مائها سميت حامة*»[18].

وقد سكنها قديما البربر و استوطن بها العرب عند قدومهم فاتحين مبشرين بالإسلام خلال القرنين الثالث والرابع الهجريّين وبنوا مدرسة عربية إسلامية محاطة بسور وكانت في أغلب الأحيان مستقلة عن الحكم المركزي. ويطلق على قبائل الحامة تسمية بني زيد وحسب التيجاني يقصد بها مدلول الزيادة لا إلى رجل يسمى يزيد، وهذه

15) حسن (عبد الحميد): **مساهمة أبناء المطوية في الحركة الوطنية 1920-1956**. الكراسات التونسية، عدد مزدوج 141-142، 1987، ص 8.

16) الحميري (محمد عبد المنعم): **الروض المعطار في منبر الأقطار**. ص 543.

17) بن جراد (بلقاسم): **قابس عبر التاريخ...، مرجع سابق**، ص 189.

18) التيجاني (أبو محمد): **رحلة التيجاني** ، تونس، الطبعة الثانية،1981، ص 134.

القبائل تتفرع إلى *أربعة عروش وهم دباب* (أحد فروع قبائل بني سليم) *والحمارنة والخرجة والأصابعة*[19]. « *وتتكون واحة الحامة في القرن التاسع عشر من:القصر و يقطنه البلدية القدامى الذين كانوا يسكنون المدينة و إلى جانب القصر توجد الدبدابة التي استقرّ بها البدو الرحل تدريجيا و يكونون سكان القرية الحالية كما توجد في الواحة قريتا زاوية المحاجبة و الصمباط التي يقطنها بعض عروش بني زيد* »[20].

بالإضافة إلى ما ذكر سابقا من مناطق وجهات منطقة الأعراض هناك عدد من التجمعات السكنية الأخرى مثل تبلبو وعرام والزارات وغنوش ووذرف وكتانة والعوينات و هي في أغلبها مناطق خصبة ذات واحات صغيرة.

فما يمكن ملاحظته أن جهة الأعراض منطقة إستراتجية:

*جغرافيا: حيث يلتقي فيها البحر و الواحة و الجبل والصحراء.

*اقتصاديّا: من خلال سيطرتها على التجارة الصحراوية و تنوع منتوجاتها.

*سياسيا: من خلال بعدها عن المركز و عن السلطة الحاكمة و عدم خضوعها للروابط الجبائية مما جعل قبائلها تنزع إلى الاستقلالية و عدم الطاعة.

19) **فروة (محمود):** المقاومة المسلحة في تونس خلال القرنين التاسع عشر و العشرين مثال قبيلة بني زيد (جهة الأعراض). **أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر و العشرين.** تونس، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،1995، ص45.

20) PELLISSIER(E): **Description de la régence du Tunis.** Paris, Imprimerie impériale, 1853 , page160.

الفصل الأول:

جذور المقاومة عند أهالي الأعراض

1. نزعة الاستقلاليّة لدى أهالي الأعراض

أ.نزعة الاستقلاليّة لدى أهالي الأعراض قبل الاحتلال الفرنسي

لقد تميز سكان الأعراض بنزعتهم إلى الاستقلالية وطوقهم إلى الثورة والعصيان إذ يقول عنهم ابن حوقل « *إنهم لا يخلون من الشرات أو القول بالوعد والوعيد مخالفون أكثر أيامهم لسلطانهم مواربون في الحقوق عليهم*»[21]. فنذكر مثلا تمرّد قبائل بني زيد المتواجدة بالحامة والتي تمرّدت حوالي سبعة سنوات في عهد حمودة باشا المرادي الذي هاجم الحامة لإخضاعهما « *فنصب عليها المدافع وقطع نخلها حتى فتحها فقتل رجالها وسبى نساءها ونهب أموالها وباع أولادها أواخر 1045 هـ*»[22].

كما ساندت قبائل بني زيد الشيخ الثائر غومة المحمودي الطرابلسي و دعموا ثورته(1856-1858) عندما اضطر للّجوء إلى جنوب الإيالة التونسية أمام الحصار المفروض عليه و تشتت أنصاره. فلاحقه الباي بجيشه وأطرده من البلاد. كما لا ننسى أهمية دور بني زيد في اندلاع ثورة 1864 التي انطلقت من الجنوب التونسي« *فمنذ شهر مارس 1864 رفضت قبائل الأعراض و على رأسهم بنو زيد ضريبة الإعانة المضاعفة بالرغم من وجود أمير الأمراء سليم و قواته على عين المكان...بل وهددته بالموت إن لم يعد الأموال التي جمعها إلى أصحابها*»[23]. وعندما سمعت بخبر هروبه « *اجتاحت البرج الذي يتحصن به و أجبرته على إعادة الأموال و بعد تلك الحادثة غادر أمير الأمراء سليم قابس إلى باردو و بعد رحيله أصبحت قبائل الأعراض تحكم نفسها بنفسها*»[24]. وعند توجه محلة أحمد زروق إلى وطن الأعراض للتنكيل بأهله و معاقبته، فرّت أغلب القبائل إلى أماكن حصينة وهاجرت إلى طرابلس.

---

21) المرزوقي (محمد): **قابس جنة الدنيا...، مرجع سابق**، ص 128.

22) ابن أبي دينار:**المؤنس في أخبار افريقية وتونس**. تونس، المكتبة العتيقة، ص 197.

23) فروة (محمود): **المقاومة المسلحة...، مرجع سابق**، ص 51-52.

24) **المرجع السابق**، ص52.

فشساعة المنطقة و كثرة جبالها و وجودها على الحدود الليبية جعلت منها مكانا يصعب محاصرة أغلب ثواره لذلك بقي « *شيوخ الحامة و بني زيد يقومون بمهامهم دون أي تفويض رسمي من الباي كما أن خليفة الأعراض لم تكن له عمليا سلطة عليهم إلى حدود 1868* »[25].

ومن هذا المنطلق تأتى التفسيرات لكلمة الأعراض التي تدل على التعارض والتناقض والصراع[26] ليس فقط مع السلطة المركزية بل بين الأهالي أيضا مثل صراع أهالي جارة مع أهالي المنزل وصراع قبائل بني زيد مع قبائل ورغمّـــــــة، وهي قبائل كما يصفهاPELLISSIER عندما زارها في 1843 « *غالبًا في حالة حرب فيما بينها* »[27] .

و هذا يعود إلى الأحقاد الدفينة بين تلك القبائل التي ولـّدها الانتماء الصفـــَي الـــذي تدعّم و قوي خاصة في العهد الحسيني فانقسمت تلك القبائل إلى صفين صف يوســف ويضم قبائل بني زيد، حازم، الغرايرية، الحمارنـــة، العلايـــة وقـــرى جـــارة ووذرف (الأعراض) والمنشية والمنصورة وقبلي (نفزاوة) وزراوه وتاودجوت وبنـــي عيســـى (الجبل) و صف شدّاد ويضم قبائل ورغمّة (الودارنة والتوازين والخـــزور وعكّـــارة) وقبائل أولاد يعقوب والمرازيق والغرايبة باستثناء فروع قعود وقـــرى توجـــان وبنـــي زلطن وتمزرت وواحات المنزل والمطوية وشنني(قابس) وواحات نقة وتلمين. وكـــان صف شدّاد « يمثل في أذهان الناس نوعا من المناهضة للسلطة القائمة آنذاك أو جبهـــة رفض»[28].

---

25) **الأرشيف الوطني التونسي:** صندوق 42، ملف 474، وثائق 9-10-11.

26) العرنوني (أحمد): **وطن الأعراض بالجنوب الشرقي بالبلاد التونسية في العصر الحديث دراسة في العلاقـــات بين الجماعات المحلية والمركز الحسيني من سنة 1750-1881**.أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية بتونس، 2000-2001 ، ص 14.

27) PELLISSIER(E):**Description de la régence ...**,Op. cit. pp170-171.

28) فروة (محمود): **المقاومة المسلحة...، مرجع سابق**، ص 24.

فنلاحظ أن من خصوصيات جهة الأعراض أنها تجمع المتناقضات و الأضداد التي تدعمت أكثر مع الحرب الباشية الحسينية التي شهدتها الإيالة التونسية انطلاقا من سنة 1725 بين الباي حسين بن علي و ابن أخيه علي باشا الثائر عليه. فصف شدّاد مع الصف الباشي و صف يوسف مع الصف الحسيني و من هنا ازداد صراع جارة و المنزل فالأولى إلى جانب الباشية و الثانية إلى جانب الحسينية، كما أيدت قبائل بني زيد علي باشا الذي « *فرّ منهزما في قليل من أصحابه إلى الحامة...فأجابوا دعوته...*» (29).

فاحتضان بني زيد وتأييدهم لعلي باشا إلى جانب عدة قبائل مثل الحزم و الحمارنة و العلاية و الغرايرة و السواسي...يمثل حبهم لاستقلالية و معارضتهم الدائمة للسلطة المركزية.

ب. مقاومة أهالي الأعراض للاحتلال الفرنسي (1881)

كان أهالي الأعراض يتابعون أنباء احتلال مناطق الشمال التونسي ولما علموا بخيانة الصادق باي و إمضائه معاهدة الحماية أصبحت فكرة المقاومة تدور في الأذهان حيث « *قام الحاج جيلاني بالحاج الحبيب صحبة أخيه باش مفتي الأعراض على الحبيب بالحاج الحبيب بربط الصلات و التعاون مع البدو، فهذان الأخوان قاما بنشر فكرة المقاومة بين الخاصة و العامة في المنزل.أما بعض أعيان جارة فقد رفضوا المقاومة و قبلوا الخضوع و الاستسلام مفسّرين ضرورة الخضوع بتفوق القوات الفرنسية وضعف إمكانيات الأهالي. مما جعل علي بن خليفة، قائد نقات و خليفة الأعراض، و محمد الميداسي، خليفة الحزم، يحاولان إقناع أعيان جارة بضرورة المقاومة* » (30).

---

29) ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان**. الجزء الثاني، الدار التونسية للنشر،1990، ص 137.

30) Kraïem (A.) : La résistance de Gabès à l'occupation française en 1881.In **Les Cahiers de Tunisie,** n°143-144,1er et 2 ème trimestres 1988, pp.128-129.

وهذا الاختلاف يفسّر بالانتماء الصّفي و الصراع القديم بين الجهتين (المنزل و جارة). و تواصل الإصرار على المقاومة فانضمّ أهالي الأعراض « *إلى ثورة علي بن خليفة بعدما كانوا من أشدّ مناهضيه عندما كان ممثلاً لسلطة الباي*» [31]. فقبل وصول القوات الفرنسية إلى الجهة « *قام أهالي المنزل يوم 15 جوان بعدة عمليات تخريبية مثل تحطيم خط التلغراف الرابط بين قابس وتونس، كما قام أولاد بيداني باغتيال احد يهود الجهة...* »[32].

ومن خلال الأخبار التي أتى بها بعض رجال نفّات و بني زيد و الحزم، الذين شاركوا في المقاومة الصفاقسية حين عودتهم في 19 جويلية بعد سقوط صفاقس، أنّ القوات الفرنسية في طريقها إلى قابس. وتأكدت تلك الأخبار يوم 21 جويلية عندما ظهرت باخرة حربية فرنسية في خليج قابس، فعقد اجتماع عند دار قاضي جهة المنزل عبد العزيز الحمروني «*الذي ساهم بخطبه في إثارة قابس*» [33]. و كانت ثقة الأهالي قوية في قدوم قوة تركية لمساعدتهم. و يوم 24 جويلية كانت المواجهة على شاطئ البحر عند قدوم قوات البحرية الفرنسية بمدافعها و أسلحتها، فقابلتها حشود المقاومة القادمة من وسط المدينة مدعمة بحشود من بني زيد و الحزم و نفّات « *و يقدر عددهم بـ1500 إلى2000 من المشاة وبـ 400 إلى 500 من الخيّالة*»[34]. لكن سرعان ما تفرق الجميع أمام قذائف البواخر. و في المقابل « استقبل أهالي جارة في مدخل القرية جنود العدو الذين انتصبوا ببرج هذه البلدة ليطلقوا النّار على الثوار المجتمعين بالمنزل و رغم ذلك تمكّن رجال المقاومة من اجتياح بطحاء السّوق بجارة حيث دارت معركة بينهم وبين الجنود الفرنسيين انتهت بعودة هؤلاء إلى معسكرهم الكائن على الشاطئ إلاّ أن قوات الاحتلال في السادس و العشرين من شهر جويلية بقيادة الكلونيل جامي (Jamaik) وتمكّنت من احتلال

31) فروة (محمد): **المقاومة المسلحة...،مرجع سابق**، ص58.

32) Kraïem(A.) : **La résistance de Gabès**..., op.cit.,p.132.

33) المرزوقي (محمد): **صراع مع الحماية**. تونس، دار الكتب الشرقية، 1973، ص 132.

34) Martel (A):"**les confins..., Op. cit**., p.246.

جارة»[35]. وأصيب الثوّار بخيبة أمل عند فقدانهم لقائدهم الحاج جيلاني بن الحاج الحبيب الذي استشهد أمام جامع المنزل لكن لم يستسلموا حيث تمكنت المواجـــهة « *من خطف ثلاثة جنود فرنسيين يوم 28 جويلية 1881 وتـمّ حـرقهم أحـــياء في ساحة شنّي بحضورقايد نقات صالح بن خليفة*»[36] وتواصلت المقاومة« *ولم يستطع الفرنسيون الاقتراب من قابس إلا بعد براز عنيف ذهب ضحيته جماعة من الأبطال*» [37] ودام ذلك البراز أربعة أشهر. ثم تواصلت المقاومة عند قبائل بني زيد بالحامـــــة « *بزعامة إبراهيـــم الساسي و أخيه بلقاسم بن سعيد و محمد شرف الدين*»[38] وأهالي المطوية و وذرف معززين بمقاومة علي بن خليفة الذي « *قاد آخر معارك قـــــابس و ضواحيها في 20 نوفمبر انسحب إلى الجنوب و نزل بواد الزس وهنـــاك التحق به أخوه صـــــالح و بقي ينتظر وصول بني زيد و الحمارنة والحزم أملا أن يكوّن منهم نواة هجوم قوية يعيد بها الكرّة على قـابس و لكن هؤلاء تأخّروا و وصله نبأ استسلام محمد شرف الدين و من تبعه من بني زيد*»[39].

وأمـــام زحف القوات الفرنسية و احتلال منطقة الأعـــراض، التي صمدت إلى غـــاية شهر ديـــسمبر 1881، انسحبت القبائل و تراجعت مقاومة علي بن خليفة الذي فـــرّ إلى الحدود الطرابلسية ثم اجتازها فيمـــا بعد مع عدد كبيرمن الثـــوّار. وتواصلت من هناك المقـــاومة بشنّ عدة هجومات أقلقت القـــــوات الفرنسية وأفزعتها. و تواصل الصراع إلى صائفة 1882 نذكر مثلا« *حملة 12 أوت 1882 للهجوم على القوات الفرنسية بالجنـــوب التونســـي*»[40] ثم أصبح عدد المهاجرين الثـــوّار مع عـــــلي بن

35) المحجوبي (علي): مقاومة السكان التونسيين للاحتلال الفرنسي. في **المجلّة التاريخية المغربية**، عدد 33-34، جـــــــوان 1984، ص 116-117.

36) Hachmi (K) et Mahjoubi (A): **Quant le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881 impérialisme et résistance**. Tunis,Cérès Production, 1983, P110.

37) مرزوقي (محمد): **قابس جنة الدنيا...، مرجع سابق**، ص 223.

38) المرزوقي (محمد): **صراع مع...، مرجع سابق**، ص 92.

39) **المرجع السابق**، ص 197.

40) **نفس المرجع**، ص 323.

خليفة في تناقص شيئا فشيئا بسبب السياسة الفرنسية و قرارات الباي المتمثلة إرغامهم بالوعود لإرجاعهم إلى وطنهم.

ورغم سيطرة الاستعمار واستسلام السلطات الحاكمة فإن أهالي الأعراض لم يستسلموا. إذ كانت للحرب العالمية الأولى و للانتصارات الألمانية الأولى على فرنسا الدور الكبير في تأجيج لهيب المقاومة التي هدأت قليلا و لكنها لم تنطفئ خاصة بعد الاحتلال الإيطالي سنة 1911 حيث شارك العديد من أبطال جهة الأعراض في الدفاع عن إخوانهم الليبيين سواء بالمساعدات المالية أو بالمؤونة الغذائية و بالسلاح أو بمشاركتهم في جهادهم، و نذكر مثلا الشاب مصباح بريبش الغيلوفي (1887-1925) « *من قبيلة بني زيد الذي كان موجودا في صفوف المجاهدين الليبيين منذ سنة1912* »[41]. إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى، مثل هذا الشاب همزة وصل من خلال مساهمته الفعّالة في إيصال الرسائل التي تصل إلى المجاهدين التونسيين بتركيا مثل الشيخ صالح الشريف و علي باش حانبة. و كانت الرسائل تحمل الدعوة للجهاد ضدّ دول الحلفاء التي أعلنها شيخ الإسلام بالآستانة، كما لعبت الدعاية التركية الألمانية دورا كبيرا في بثّ هذه الدعوة[42]. كذلك كان لسليمان الباروني الذي عاد من الأستانة دور في استئناف المعارك في طرابلس و برقة « *فأعتصم بجبال غريان و أخذ ينظم المقاومة ضدّ ايطاليا و يبعث برسائله لنشر الدعوة إلى الجزائر و تونس* »[43] مكلفا مصباح بريبش بهذه العملية « *فكان بريبش أخطر رسول يستطيع تحويل الأوامر السرّية دون أن ينتبه إليه أحد* »[44] حيث تمكّن من إرسالها إلى بعض الشخصيات التونسية، ثم

41) المرزوقي (محمد): **دماء على الحدود**. تونس/طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1975، ص38.

42) HAIBI (Med Lotfi): Profils national et contours du colonial dans le Maghreb des années vingt. In **Les années vingt au Maghreb.**Université de La Manouba, ISHMN,2001,pp.77-80

43) الفاسي (علاّلة): **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**. الرباط، منطقة الرسالة، 1980، ص 47.

44) المرزوقي(محمد): **دماء...، مرجع سابق**، ص 38.

رجع إلى الحامة « *فاجتمع سرّا بشيوخ القبيلة الذين وعدوه بالدخول في هذه الثورة دون تردد...فانتشر الدعاة في كلّ مكان و كان اعتماد الجميع موجها إلى قبائل الجنوب*»[45]. ومن أبرز متزعمي الحركة من جهة الحامة الذين لعبوا دورا دعائيّا كبيرا للتخطيط للثورة نذكر خاصة « *الحاج عمّار بو طارة الكاتب بإدارة الخلافة و الشيخ الحبيب الزائر شيخ منطقة الدبدابة و الحاج عمر بن فرج و الشيخ علي فارس و محمد بالحاج محمد الذّيب و الناعس الشرياق و منصور بن التومي*»[46]، و«*عبد الله بن العزيز الحمروني نائب عن قابس و الشيخ الصّغير السويح نائب عن المطوية...*» [47].

ويضاف إلى ذلك أهمية الدور الذي لعبه أحمد توفيق المدني في التحريض على هذه الثورة من خلال إتصاله بشيوخ بني زيد متعللا بتجارة التمور و التقى بعلي فارس أحد مناضلي الحامة و أعلمه بالمأمورية التي أتى من أجلها « *و أن قضية تجارة التمر ما كانت إلاّ ستارا لإخفاء المهمة الحقيقية عن أنصار العدو*» [48] و بأن أهالي الجنوب يستطيعون جلب السلاح بكل يسر بحكم اتصالهم الوثيق بالطرابلسيين، فأكد له علي فارس بأن « *أهل الجنوب عازمون على الانتقاض و لهم مراسلات في شأنه مع القائد التركي نوري باشا و انهم سوف يقومون بأول عملياتهم متى حصلوا على البنادق و الجبخانه التي طلبوها*»[49].

ولكن سلطات الحماية كشفت أمرهم « *إثر خيانة خليفة الحامة محمد الزواري*»[50]، فوقع القبض على شيوخ بني زيد فاضطرّ الودارنة، قبائل أقصى الجنوب إلى إعلان

45) **المرجع السابق**، ص 38-39.

46) المرزوقي (محمد): **محمد الدغباجي**. مطبعة المنار،1979، ص 42.

47) الزريبي (الهادي): ثورة 1915 و دور مشايخ الحامة فيها. في **الحياة الثقافية**. عدد97، 1998 ص112.

48) المدني (أحمد توفيق): **حياة كفاح، الجزء الأول في تونس (1905-1925)**.الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976، ص 94 .

49) **المرجع السابق**، ص من95 إلى97.

50) المرزوقي (محمد): **دماء...، مرجع سابق**، ص 39.

الثورة و الانضمام إلى « *القائد خليفة بن عسكر الذي أسند إليه البارون مهمة الجبهة الغربية من الثورة*»[51]. و قد كان لابن الأعراض محمد الدغباجي [52] دور كبير في انتفاضة الودارنة إذ بارح مكانه بجانب صفوف الجنود الفرنسيين بحصن ذهيبة و ألتحق بثورة أقصى الجنوب.

و زادت تداعيات الحرب العالمية الأولى في تململ الأهالي وتأجيج لهيب الثورة لديهم نظرا إلى الظروف القاسية التي كانوا يعانون منها في تلك الفترة (حالة الحصار وانعدام المواصلات والرقابة المشددة) حتى أن المستعمر خاف أن يولّد ذلك التململ انتفاضة أخرى فزجّ بالسجن كثير من رجالات تلك الجهة أمثال صالح بلغايب ويوسف الغول وبلقاسم بن الصادق بن علي وعلي فارس وعمار بن عبد الله والحبيب الزائر[53]. كما تمت مضايقة واستنطاق النفطي بالحاج وعلي شمام وعلي بن الصادق بن بلقاسم والصادق بن عمر قبيع وصالح بن محمد بن العايب وتهديدهم بالطرد من وظائفهم [54].

51) الزريبي (الهادي): **ثورة 1915...، مرجع سابق**، ص 112.

52) الدغباجي: هو محمد بن صالح الدغباجي الخريجي ولد سنة 1885 بالحامة، تجند في الجيش الفرنسي سنة 1907 وعند اندلاع انتفاضة الودارنة سنة 1915 أرسلته القوات الفرنسية ضمن جنودها إلى المنطقة لإخماد المنتفضين لكنه انضم إلى الثوار والى خليفة بن عسكر في ليبيا وخاض معه معارك ضد الإيطاليين والفرنسيين وواصل مواجهته للمستعمر بعد عودته إلى التراب التونسي فقامت السلطات الفرنسية بملاحقته لكنه وجد مساندة كبيرة من قبل أبناء جهته اذ وقفوا بجانبه في واقعة المغذية في 6 أفريل 1920 كما شارك في عدة وقائع مثل واقعة الزلوزة والجلبانية ثم حوكم غيابيا بالإعدام في 27 أفريل 1921 وفي 1 مارس 1924 أعدم رميا بالرصاص بساحة سوق الحامة.

53) تقرير صالح قيزة أعده بمناسبة الاحتفال بمرور 55 سنة على تكوين شعبة جارة الدستورية وحاول فيه تلخيص أهم شهادات مناضلي الجهة الذين حضروا الاحتفال مثل المناضل عبد الله الغنوشي.

54) **الأرشيف الوطني التونسي** (أ.و.ت.) : سلسلة E ، صندوق 105، ملف 11 وثيقة غير مرقمة.

2. بروز العمـــل السياســـي المنظـــم وأهمية نازحي الأعراض ودورهم في الحركة الوطنية:

أ- نشأة الحزب الحر الدستوري و انخراط أهالي الأعراض فيه:

لقد مثلت مقاومة الأهالي للاحتلال محاولات عفوية تفتقد للوعي السياســـــي و لكنها مشحونة بحسّ وطني ويمكن أن نقول إنها محاولات هيأت الأرضية المناسبة لبروز الوعي بالنشاط السياسي المنظم الذي ستستغله النخب المثقفة التي بدأت تظهر بالعاصمة من خلال نشاطها الجمعيّاتي (جمعية الخلدونية 1896، جمعية قدماء الصادقية 1905، النادي التونسي 1905) والصحفي (الحاضرة، الصّواب...). إذ تأسّست بداية فيفري 1907 جريدة "le Tunisien" (*التونسي*") التي يديرها علـــي باش حانبـــه و طرحت مطالب حركة جديدة لجماعات مثقفة و هي حركة الشباب التونسي و لكنها بقـــيت « *ذات صبغة نخبوية بورجوازية لم تطرح قضية الاستقلال بل كانت في بداية الأمر تدعو إلى سياسة تشريك التونسيين في إدارة شؤون بلادهم ...ممـــا جعل الحركة الوطنية التونسية تتخلى غداة الحرب العالمية الأولى على هذه السياسة*»(55).

كما تكوّن الحزب التونسي (le Parti tunisien) في ربيع 1919 ولكن هذا العمل السياسي بقي يدور حول نخبة معينة ولم يتغلغل داخل الجماهير الشعبية فحاول الشيخ عبد العزيز الثعالبي بإصدار كتابه "*تونس الشهيدة مطالبها*" أن يستقطب العديد من المثقفين ولكنه أثار غضب السلطات الفرنسية التي قامت بإيقافه بباريس وهذا لم يمنعه من مواصلة اتصاله بالشباب التونسي وحثهم على ضرورة المطالبة بدستور يضمن حقوق التونسيين وضرورة تكوين حزب ينظم الحركة الوطنية.

فعقدت اجتماعات لتحقيق تلك المطالب ووقع الرجوع إلى كتابه "تونس الشهيدة" ليستوحى منه هذا البرنامج وبعد تنقيحات عبد العزيز الثعالبي تم تأسيس الحزب في شهر مـــارس 1920 و أطلق عليه اسم الحزب الحر الدستوري. وحظي هذا العمل

55) المحجوبي (علي): **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**. تونس، منشورات تاجامعة التونسية، 1986، ص 30-31-39.

بتأييد شعبي إذ كان الشعب يشعر بحاجة إلى حركة وطنية ناجعة ينضم إليها وتعبّر عن مطالبه. كانت جهة الأعراض من أهم المناطق التي دبّت فيها أخبار الحزب (أهمية المقاهي و الأسواق الأسبوعية في نقل الأحاديث ودور أهالي الأعراض المستوطنين بالعاصمة)، وانتشر فيها بعض الوعي الفكري رغم سيطرة الجهل والفقر في تلك الفترة ولكن لعبت نخبة المدينة دورا هاما في تتبع أخبار الجرائد الوطنية والفرنسية و الاطّلاع على الظرفية السياسية الدولية إذ « *أصبحت هذه النخبة تتحدث عن حتمية انسحاب فرنسا من تونس بعد هزائمها في الحرب العالمية الأولى كما شنت حملة على قايد الأعراض متهمة إياه بالولاء لفرنسا* » [56]. كما قرر الحزب إنشاء شعب دستورية « *لا في مدينة تونس فحسب بل في داخل البلاد عهد بهذه المهمة إلى أحمد توفيق المدني و محمد الجعايبي الذين غادر العاصمة في 23 ديسمبر 1923 متجهين نحو خطّ سوسة قابس* »[57].

فأحدثت الأخبار الصادرة عبر الصحافة نوعا من الحركيّة دعمه وصول الوفد الحزبي إلى مدينة قابس ليدعم ذلك الوعي الوطني المتواجد عند الأهالي حتى يصبح مجسما داخل حزب منظم فتأسّست على إثره شعبة تابعة للحزب بالمدينة بداية من سنة 1922« *بهدف تأطير المشاعر الوطنية والإشعاع على باقي مناطق الجنوب التونسي* » [58]. و لقد قاد الحركة والدعاية الدستورية في البداية « *السيد محمد النفوسي و جماعة من مفكري الجهة يؤازرونه في عمله و بعد ذلك تم تعويضه و وقع إنتخاب عمر بن قفراش كاتبا للشعبة و عمدة للحزب بقابس و بقي يدير حركة الحزب هناك إلى الساعة التي أعتقل فيها* »[59]. ولكن سلطات الحماية و من يمثّلها من

56) **الأرشيف الوطني التونسي**: سلسلة E ...، مصدر سابق.

57) المحجوبي(علي): **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934)**. ترجمة أ.عبد الحميد الشابي، قرطاج، بيت الحكمة، 1999، ص 279.

58) جلاب (الهادي): ملامح من النشاط الوطني بمدينة قابس في بداية العشرينات. في **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 38-84، جويلية 1996، ص 120.

59) **لسان الشعب**: 22 جويلية 1925، حادثة قابس الأخيرة كيف أعتقل الزعيم عمر ابن قفراش، عصام.

عمّـــال خلفاء و شيوخ قرى و عشائر و قيّـــــاد سلّطوا ظلمهم و استبدادهم ساعيـــــن « *لمقاومة الدستوريين و قطع دابر الفكرة الدستورية من تلك الجهات...لأنهم شعروا بوجود حركة تحاول سلبهم تلك السلطة....نشطوا إلى مقاومتها و العمل على قتله*»[60].

و بالرغم من كل ذلك تواصل العمل الوطني داخل هذه الشعبة وازداد عدد منخرطيها لكنه بقي منحصرا لدى الفئات الميسورة ولم تندمج بداخله كل الشرائح العمالية مثل عمال صيادي الأسماك ولكن تلك النخبة أن صح التعبير كرست كل جهودها للقيام بالعمل السياسي المنظم من خلال إقناع الأهالي وحتى يهود الجهة بالمشاركة في عمل الشعبة الدستورية ودعم الحزب [61]. وكانت للأعداد الغفيرة من نازحي الجنوب التونسي نحو العاصمة دورا مهمّا في النشاط الوطني وفي الاندماج في العمل لسياسي فكيف كان ذلك؟

60) المصدر الســـابق.

61) جلاب (الهادي): ملامح ...، مرجع سابق، ص 120.

ب- مساهمة أهالي الأعراض بالحاضرة في الحـــركة الوطنية:

تعتبر حركة نزوح أهالي الأعراض إلى العاصمة حركة « *قديمة سابقة للحدث الاستعماري*» [62] و« *ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر*» [63]. وربما تعود الحركة إلى أقدم من ذلك إذ يذكر عبد الحميد حسن أن أهالي المطوية هاجروا منذ القرن السابع عشر[64] وكانت حركة في نطاق البحث عن عمل وتحسين المعيشة هربا من جفاف الجنوب وقلة موارده الزراعية وهربا من « *كثرة الاضطرابات وثقل جهاز / لرقابة الجبائية والمخزنية في منطقة حدودية حساسة*»[65] ونذكر على سبيل المثال أن« *جد الطاهر الحداد كان قد نزح إلى تونس العاصمة حوالي 1860 وكانت القلاقل والمشاكل سببا لنزوحه*»[66].

ازدادت هجرة الأهالي و تكثفت مع الاحتلال الفرنسي لما سلطه من قوة وتعسف خاصة في البداية ضمن ممارسات الحكم العسكري القاسية على الأهالي، مثل هذه الأسباب جعلت من الجنوب منطقة طاردة لسكانها وجعلت من العاصمة القطب الرئيسي الجاذب لأهالي الأعراض وبقية أهالي الجنوب عامة. وقد تمركز أهالي الأعراض في « *فضاءات أقل حظا من حيث التراتيب العمرانية والاجتماعية*»[67] وامتهنوا مهن شاقة ومتعبة وملوثة ومحدودة الدخل وعرف هؤلاء النازحون بتخصص كل مجموعـــــــة

62) الشابيي (محمد لطفي): ثنائية الفكر الإصلاحي والعمل الوطني في نضال الطاهر الحداد: المنطلقات والمعوقات(1920-1935)، في **روافد**، عدد 6 ،2001، ص 171-172.

63) المكني (عبد الواحد): أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة. في **أعمال الندوة الدولية الثانية عشرة حول الجنوب التونسي، من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956**، جامعة منوبة، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،2005 ، ص 25.

64) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء ...، **مرجع سابق**، ص 10.

65) المكني (عبد الواحد): **أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة...، مرجع سابق**، ص 21.

66) الشابيي (محمد لطفي): **ثنائية الفكر الإصلاحي...، مرجع سابق**، ص 171-172.

67) القسنطيني(الكراي): **الاحتياج والمحتاجين بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي 1885-1918.** تونس، مركز النشر الجامعي، 1999 ، ص 208 و 218.

منهم في مهنة فنجد القوابسية اختصوا بمهنـــة الحمالة وأهل شنني كانوا جزارين وامتهنوا أيضا بيع الصحف وعرف المطاوى كباعة خضر متجولين أو مستقرين في الأسواق وسواق عربات مجرورة "كريطة" واشتهر أهالي وذرف بتعاطي مهنة صناعة الجير والجبس وعرف أهالي الحامة باشتغالهم في المخابز.

لقد جعلت الظروف الصعبة من نازحي جهة الأعراض أكثر تضامنا في الغربة رغم تمركز كل مجموعة منهم *"بمنطقة معينة"*[68] ونجد مثلا أهالي المطوية تمركزوا بمنطقة ترنجة وأهالي الحامة أصيلي منطقة القصر بالحجامين بباب الجديـــد و أصيلي مشيخة الدبدابة ببطحاء سيدي الجبالي[69].

لكنّ اختلاف الأحياء لم يمنع نازحي جهة الأعراض من اتصالهم والتفافهم ككتلة مهاجرة تحس بالغربة وبالفوارق الاجتماعية بينها وبين أهالي العاصمة (البلديّة) الذين يعتبرونهم أناسا خطرين [70] فأستحدثوا بعض الفضاءات المشتركة للالتقاء والاحتكاك وتبادل المعلومات ونذكر خاصة فضاءات المقاهي على غرار مقهى الحامة ومقهى المطوية ومقهى المطاوى وبقى اتصالهم بعائلاتهم و بقراهم ومسقط رأسهم متواصلا لا ينقطع. وبفضل تكتلاتهم واحتكاكهم بالطبقة المثقفة بالعاصمة نما الوعي الوطني لدى النازحين ونذكر على سبيل المثال أنّ« *كان حسن جراد بالقلالين كان خلال فترة العشرينات همزة وصل بين المطاوى والعديد من شيوخ الزيتونة والزعماء أمثال الثعالبي ومحمد علي الحامي*»[71].

وكان أصيلي جهة الأعراض يتميزون بنزعتهم الإستقلالية المتمردة فكانوا أكثر المواطنين شغبا، يتحمسون لخدمة الوطن بكل شجاعة فانجذبوا بصفة مبكرة للعمل السياسي والنقابي. وقاموا بعديد التحركات الشعبية من مظاهرات واجتماعات وتذكـــــر

68) ROUISSI (M):**Population et société au Maghreb,** Tunis,Cèrès Prod.,1977, p 92.

69) BERRY (Isabelle):**Quartier et société urbaines:le fauboug de la Medina de Tunis**. Université de Tours, Département de géographie, tome 1er ,1994, pages 32-35.

70) KRAIEM (Mustapha):Nationalisme et Syndicalisme en 1918-1929. Tunis, U.G.TT, 1976, page 523

71) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء المطوية...، مرجع سابق، ص 11.

مشاركتهم الفعالة في أحداث الجلاز سنة 1911 إذ مثلوا «*21 بالمائة من المحكوم عليهم في هذه القضية*»[72] « *على غرار محمد بن عبد الله بن عمر القابسي الذي حوكم بالإعدام في البداية ثم بالأشغال الشاقة مدى الحياة*»[73].

وهذا ما أثار مخاوف السلطات الفرنسية التي انزعجت من أحداث الشغب المتواصلة (مظاهرات، اضرابات...) فبادرت في النصف الأوّل من الثلاثينات من القرن الماضي« *بطرد أهالي قابس من العاصمة وترحيلهم في قطارات خاصة*»[74].

وفي إطار حملة الحزب الدستوري التونسي الدعائية وبعث شعب دستورية بمختلف أحياء العاصمة تكونت شعبة ترنجة سنة 1922 وتكونت شعبة الحوامية بنهج القعادين ببطحاء سيدي الجبالي (باب سويقة). فتكثف النشاط السياسي وازداد عدد المنخرطين داخل هذه الشعب التي كانت متواصلة في أعمالها مع شعب جهة الأعراض « *عن طريق عضو من كل هيئة مهمته الاتصال بالجهة*» [75]. كما انخرط الطاهر الحداد في الحزب الحر الدستوري التونسي فور تأسيسه« *و كان من ضمن الدعاة الدستوريين*، إضافة لحضوره الفاعل في *جلسات اللجنة التنفيذية بنادي الحزب بنهج انكلترا و مختلف التظاهرات الوطنية التي قادها* (الحزب) *سنوات 1920* »[76].

وتواصلت مشاركة أهالي الأعراض في التحركات الوطنية نذكر من ذلك مظاهرة 12 أكتوبر 1924 التي تحدى فيها المطاوى المستعمر الذي حجر رفع العلم التونسي

72) AYADI (T): **Mouvement réformiste et mouvement populaires à Tunis 1906-1912.** Tunis, Publication de l'Université de Tunis, 1986, pp. 187-188 et 209.

73) المكني (عبد الواحد): **أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة...، مرجع سابق**، ص 36.

74) LIAUZU (C):**Salariat et mouvement ouvrier en Tunisie, crises et mutations (1931-1939)**. Paris, C.N.R.S, 1978, pp.55-65.

75) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء المطوية في الحركة الوطنية...، **مرجع سابق**، ص 7.

76) الشايبي (محمد لطفي): **ثنائية الفكر الإصلاحي...، مرجع سابق**، ص 176.

فرفعه المرحوم العبيدي بن الصالح[77].

بيد أن حركة النزوح وما تبعها من ظروف جعلت أصيلي الأعراض ينخرطون في العمل النقابي والسياسي الوطني لكن لم يتم توظيفها من القيادة الدستورية.

فما هي أسباب ذلك؟

77) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء المطوية في الحركة الوطنية...، **مرجع سابق**، ص 9.

3- تراجع نشاط الحزب الحرّ الدستوري التونسي و محاولات إحياء الحركة:

أ. قمع مناضلي الأعراض وصمت اللجنة التنفيذية:

عرف الحزب الحرّ الدستوري التونسي في بدايته إشعاعا في داخل البلاد من خلال انتشار شعبه وزيادة عدد منخرطيه وفي خارجها من خلال إرساله وفودا إلى باريس للتعريف بالقضية وطرح عدة مطالب، وهذا الإشعاع أثار مخاوف المستعمر الذي كان يخشى امتداد تأثير هذا الحزب إلى الجزائر فأصبح الحزب الدستوري التونسي يمثل خطرا على السلطات الاستعمارية خاصة منذ أزمة 1922 التي أثارت الشغب فكثرت الانتفاضات والمظاهرات وكانت لأبناء الأعراض المساهمة الفعالة في هذه التحركات سواء أكانت في العاصمة أو في جهتهم. ونذكر على سبيل المثال مظاهرة وقعت بالمطوية في 15 أفريل 1922 وتم على إثرها إيقاف مجموعة من الدستوريين[78] .

وعلى غرار هذه الأحداث « *لاحظ قابريال بيو الكاتب العام للحكومة الفرنسية أن التقدم الذي أحرزه الوطنيون منذ سنة في الداخل يدعو إلى الرعب و قد حان الوقت لإيقاف هذه الدعاية*»[79]، ومخافة من تطور هذا الحزب قامت السلطات بإصدار عدة قوانين لعرقلة نشاطه والحد من انتشاره. فأصدر في 8 ماي 1922 قانون يمنع جمع التبرعات لفائدة الحزب وبعثت هذه الأوامر إلى كافة المراقبين المدنيين تعلمهم بتطبيق ذلك القانون في جميع الجهات، « *فنضبت إثر ذلك موارد الحزب الدستوري الذي أصبح يتخبط في أزمة مالية من شأنها أن تعطل نشاطه*»[80]. وكذلك سعت السلطات الاستعمارية إلى الحد من دعاية الحزب الدستوري بكسب العديد من الصحف **كالصواب والمنير والوزير والمشير** وغيرها، و انتهت إلى خلق تصدع داخل الحزب من خلال جرّ الجناح المعتدل إلى الانشقاق و تأسيس الحزب الإصلاحي سنة 1921 و الحزب الدستوري المستقل سنة 1922 كما ضيّق المقيم العام، الداهية، لوسيان سان

78) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء المطوية في الحركة الوطنية...، **مرجع سابق**، ص 13.

79) المحجوبي (علي): **جذور الحركة...، مرجع سابق**، ص 280.

80) المحجوبي (علي): **الحركة الوطنية...،مرجع سابق**، ص 76.

(Lucien Saint) الخناق على نشاط الحزب و أرغم زعيمه عبد العزيز الثعالبي على خيار الهجرة. وتحت الضغط، غادر الزعيم الثعالبي أرض الوطن واتجه نحو الشرق في 26 جويلية 1923 وبغيابه وكذلك إبعاد المناضل أحمد توفيق المدني المسؤول على الصحافة العربية الدستورية الذي قررت السلطات الفرنسية نفيه إلى الجزائر سنة 1925 شهد الحزب فترة تراجع وركن أعضائه المتبقين إلى السّكينة والاهتمام بأشغالهم الخاصـــــة

« تاركين الحبل على الغارب فنذكر مثلا محي الدين القليبي، الذي تولى إدارة الحزب، اقتصرت اختصاصاته على اتصالات موسمية بالنواب الوطنيين القلائل داخل الإيالة مذكرا بوجود الحزب على قيد الحياة وبعث رسائل في الأعياد والمناسبات الدينية تحث على جمع التبرعات » [81] *« حتى فقد الحزب شعبه ومحله المركزي ونواديه وجرائده ولم يبق بالمرة حركة حزبية منظمة ولم تبقى من النوادي الدستورية بتونس إلا نادي الرياض »*[82]. *« و لم يعد يضمّ في نهاية 1923 سوى 35 ألف منخرط»*[83].

أمام هذه الوضعية توترت علاقة الحزب مع شعبه بسبب توقف اللجنة التنفيذية وصمتها أمام الاعتقالات والمحاكمات التي تعرض لها المناضلون. فقد تعرض أبناء الأعراض لهذه السياسة القمعية ونذكر على سبيل المثال إلقاء القبض على أحد رؤساء شُعب جهة قابس عمر قفراش و مطالبته أن*« يعلن تخلّيه عن الحركـــــة الوطنيـــــة و انسلاخه من حزب الأحرار...كما و قع تفتيش دكانه و حجز كلّمـــا به من أوراق وأتّهم بالشيوعية و تحريض الأهالي على الثورة من خلال نقل أخبار المناضل عبد الكريم الخطابي بالمغرب الأقصى. ثم حوكم بمحكمة سوسة وكان ذلك ســـنة 1925*

81) عبد الله (إبراهيم): **شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني (الجزء الأول)**. سوسة، مؤسسة سعيدان، بدون تاريخ، ص 29 إلى 82.

82) **وثائق من المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي المنعقد بمدينة قصر هلال.** مطبعة الاتحاد نهج الباشا يوم الجمعة 17 ذي القعدة عام 1352، رقم 112.

83) الطبابي (حفيظ): **محمد علي الحامي(1890-1928)**.تونس، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة مناضل و أثره عدد4، 2005 ، ص 28.

وبقي بالسجن إلى سنة 1929»[84].

وفي 4 فيفري 1925 وقعت محاكمة خمسة أعضاء من الشعب الدستورية بالمطوية (الحاج محمد بلحسين، محمد بن الحاج المختار بن عمر، صالح الحسومي، عمر بن حسن، عبد الله جراد والحاج حميدة بن الحاج محمد) أمام المحكمة بتهمة التآمر على نظام الحماية وحكمت عليهم المحكمة الفرنسية بسوسة بالسجن لمدة تتراوح بين 6 و 8 أشهر وخطايا ما بين 1000 و 5000 فرنك فرنسي للواحد[85].

وألقي القبض على جماعة من المتظاهرين في مظاهرة 25 نوفمبر 1925 أحيل منهم التوهامي العربي والحاج المبروك الرياحي وهما من أبناء المطوية إلى المحكمة وصدر في شأنهما حكم استعجالي في 3 ديسمبر 1925 يقضي بسجن كل واحد منهما مدة عام إضافة إلى تعرضهما للأعمال الشاقة والتعذيب [86]. كان هؤلاء الأحرار والأبطال يأملون في وقوف الحزب بجانبهم ومتابعـــة قضيتهـــم ولكن كما يذكر الأستاذ حسن عبد الحميد« *تخلى الحزب عن واجبه في الظروف الحرجة فتحملوا بمفردهم نفقات السفر إلى الجزائر دون مساعدة أو عون* »[87].

وقد خشي الحزب « *من فقدان زعامة الحركة الوطنية أمام إندفاع القوى الجديدة ذلك أن جماعة الدستور و هم محامون وبرجوازيون ضعفاء غير ميّالين إلى الخروج*

84) **لسان الشعب:** 22 جويلية 1925، مصدر سابق.

85) **إفريقيا:** 9 مارس 1925. **أحرار المطوية أمام المحكمة الفرنسية سوسة.**

القناوي (بلقاسم): **مذكرات نقابي وطني** . تحقيق و تعليق فريد بن سليمان، تونس، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،1998 ، ص21.

86) حسن (عبد الحميد): **مساهمة أبناء المطوية في الحركة الوطنية...، مرجع سابق**، ص 14.

87) **المرجع السابق**، ص 14.

عن طور القول إلى طور الفعل و وجدوا في محمد علي[88] *شخصا محرجا*»[89] رغم أنه في بادئ الأمر ساند شقا من قيادة الحزب مبادرة محمد علي الحامي في تكوين نقابة مستقلة ودعمه لنشأة "*جامعة عموم العملة التونسية*" بأن « *كلّف أحمد توفيق المدني أحد قيادته الراديكاليين بالقيام بدور عنصر الاتصال بين الحزب و الحركة الوطنية و جمع الأموال و مساندة الإضطرابات*» [90]. و لكن فيما بعد مالت قيادة الحزب إلى مطلب الحزب الاشتراكي الفرنسي، بحكم علاقتها العريقة معه منذ انبعاث حركة الشباب التونسي، الذي طلب منها الابتعاد عن حركة محمد علي. و كـــان المقيم العام لوسيان سان « *يعرف أن الحزب الدستوري يمر بأسوأ أوضاعه، و أن الخطر الحقيقي يتمثل في محمد علي...يمني جماعة اللجنة التنفيذية و يفهمهم أن الذي يمنع فرنسا من الاستجابة لمطالبهم هو فقط الخشية من حركة عمالية مشتبه بارتباطها بالشيوعيين*»[91]. فأصبح أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب يتهرّب شيئا فشيئا عن هذه الحركة النقابية داعيا ممثلها بالتزام الهدوء فرفض محمد علي الحامي « *مقترحات رجـــال الحزب الداعـــية للتـــرقـــب وانتظار الفرص في الخفاء والظلام والتي لم تقدر حق التقدير تلك الفئة العريضة الكادحة التي لا نجاح بدونها* »[92].

---

88) محمد علي الحامي: ولد بالحامة سنة 1894 وتتلمذ بكتاب القرية ولما شبّ نزح إلى مدينة تونس وفي سنة 1911 انتدبه القائد التركي أنور باشا سائقا لسيارته وأخذه فيما بعد إلى تركيا ثم انتقل إلى برلين حيث تمكن من الدراسة والإحراز في فيفري 1924 على شهادة عليا في الاقتصاد من كلية العلوم والاقتصاد السياسي بألمانيا ثم عاد إلى أرض الوطن وعمره 30 سنة وفي مارس 1924 خاض معركة العمال التونسيين فكون جمعية التعاون الاقتصادي ثم اسس لجامعة نقابية تونسية مستقلة "جامعة عموم العملة التونسية" فأثار ذلك غضب السلطات الفرنسية التي قامت بإيقافه يوم 5 فيفري 1925 عن كل نشاط بتهمة التآمر على أمن الدولة فقضت المحكمة بإبعاده لمدة عشر سنوات فعاش في المنفى حيث توفي في جدة 7 ماي 1928. **عن كتاب السجل القومي لشهداء الوطن**– دار العمل للنشر والتوزيع والصحافة.

89) طبابي (حيفظ): **محمد علي ...، مرجع سابق**، ص 59.

90) **المرجع السابق**، ص 58.

91) **المرجع السابق**، ص62.

92) بلحولة (محمد علي): **محمد علي الحامي وحوادث الأيام**. تونس، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل،1985، ص 128.

اثر اعتقال محمد علي الحامي لم يجد الزعيم النقابي سندا إلا من العمال و من رفاقه الذين تظاهروا يوم 7 فيفري 1925 أمام الإقامة العامة يطالبون بإطلاق سراحه، وتعرض بعض المتظاهرين للاعتقال والنفي ونذكر منهم محمد الغنوشي[93] الذي تعرض للنفي مدة خمس سنوات بمصر. وفي هذا المجال يقول ابنه الأكبر« *بعد انقضاء مدة النفي رغب والدي في العودة إلى تونس فأرسل برقية إلى الحزب الدستوري طالبا المساعدة لكنهم لم يكترثوا وأرسلوا بتلك البرقية إلى شعبة ترنجة لتدبر الأمر بنفسها* »[94].

وتصديا لمواجهة الاعتقالات المتواصلة، حاول بعض أعضاء شعبة ترنجة الاتصال بالمحامين التونسيين ومن بينهم أحمد الصافي بصفته كاتبا عاما مساعدا للقلم الفرنسي بالحزب لكنه امتنع عن القيام بهذا الواجب بدعوى أنه تحت المراقبة. وما زاد في تعكّر العلاقة بين الأهالي والحزب أنّه تم فتح اكتتاب لإعانة ضحايا القمع ولكن الأموال التي جمعت لهذا الغرض وقع صرفها في مآرب أخرى، فقام الأهالي بمفـــردهم بالوقـــوف مـــع المساجين ومساعدة أهاليهم من خلال جمع التبرعات والمساعدات المالية والغذائية[95]. وازدادت الاضطرابات والاحتجاجات داخل مدينة قابس وخاصة في جهة المطوية التي وقع تطويقها بالجيش نظرا إلى هيجان الأهالي وغضبهم وتململهم كرد فعل على كثرة اعتقالات أبنائهم وعلى صمت الحزب تجاههم رغم أنه كان المحرض على حركة العصيان والاحتجاج ولكنه بقي مكتوف الأيدي يتابع الأحداث من بعيد ولم يغتنم الظرفية المشجعة على النشاط.

93) محمد الغنوشي: ولد بشنني قابس في 1885، كان صانعا عند الشواشين ثم عاملا بسوق الحبوب ثم كاتب نقابة الحمّالة بسوق الحبوب في 1924. عن بلقاسم القناوي: **مذكرات نقابي....، مرجع سابق**، ص 18.

94) حسن (عبد الحميد): **مساهمة أبناء المطوية...، مرجع سابق**، ص15.

95) **نفس المرجع** ، ص 14-17.

ب. العوامل المساعدة على إحياء الحركة الوطنية من جديد:

في مطلع الثلاثينات تأزّمت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وشهد الحزب الحرّ الدستوري التونسي تغييرا في طرق عمله وهذا راجع إلى:

***بروز النخبة المثقفة الجديدة**

لقد برز على الساحة السياسية منذ أوائل الثلاثينات عدد من المثقفين أنهوا دراساتهم بالجامعة الفرنسية فتحصلوا على شهائد علمية وواكبوا مختلف التحوّلات السياسية والنقابية والاجتماعية التي شهدتها فرنسا اثر انتهاء الحرب العلمية الأولى.

تجمع هؤلاء الشباب أولا داخل جريدة "*صوت التونسي*" « La Voix du Tunisien » التي كان يشرف عليها الشاذلي خير الله وبعد الاختلافات التي حدثت داخل أسرة هذه الجريدة أسسوا جريدة خاصة بهم وهي "العمل التونسي" « L'Action Tunisienne » تصدر بالفرنسية موجهة إلى المستعمر ومن أبرز محرريها الأستاذ الحبيب بورقيبة والدكتور محمود الماطري والأستاذان البحري قيقة ومحمد بورقيبة .

*** دور الصحافة الوطنية:**

لقد لعبت الصحافة الوطنية دورا مهمّا في مطلع الثلاثينات رغم ما سلط عليها من عقوبات و أوامر تعسفية سنة 1926 إذ « *غيرت لهجتها وأصبحت مقالاتها أكثر جرأة تجاه الإستعمار*»[96]، نذكر منها خاصة جريدة "*صوت التونسي*" الناطقة باللغة الفرنسية « La Voix du Tunisien » و التي أسسها الشاذلي خير الله يوم 26 مارس 1930. لقد كانت في البداية أسبوعية ثم تحولت إلى صحيفة يومية إثر ازدياد ظلم المستعمر غايتها مقاومة الاستبداد و تجاوزات الاستعمار، ذات لهجة متصلبة قامت بتحريض الشعب في عدة تظاهرات.

96) المحجوبي (علي): جذور الحركة...، مرجع سابق، ص 499.

ثم ظهرت يوم 1 نوفمبر 1932 صحيفة جديدة و هي *"العمل التونسي"* ناطقة باللغة الفرنسية « L'Action Tunsienne » و من أبرز مؤسسيها تلك النخبة المثقفة الجديدة ذات الجناح الراديكالي (الحبيب بورقيبة و رفاقه) التي « *لم تستطع التعايش طويلا مع الشاذلي خير الله و بقية العناصر المعتدلة*» (97). وقد اتخذت هذه الجريدة الجديدة لهجة أكثر عنفـاً و تصلبا داعية إلى تشريك الجماهير الشعبية في الحركة السياسية و الدخول في مرحلة جديدة تؤدي إلى الاستقلال.

*** انعقاد المؤتمر الافخارستي في ماي 1930 بقرطاج والاحتفال بخمسينيّة الحماية:**

اعتبر هذا المؤتمر تظاهرة مسيحية نظمتها الكنيسة وكان بمثابة حملة صليبية مست الدين الإسلامي وهزت شعور التونسيين، فثارت ثائرتهم لأنهم رأوا في هذا المؤتمر إهانة لدينهم. كما أثارت تحضيرات الاحتفال بـــخمسين سنة من الاستعمار غضب الأهالي الذين كانوا في أشد الحاجة إلى تلك الأموال التي ستنفق للغرض من ميزانيتهم خاصة بعد مرور البلاد بأزمة اقتصادية هزّت جميع القطاعات، حيث انخفضت الأسعار و انهارت المـداخيل و عمّ الإفلاس عموم المزارعين و الحرفييـن و عجزت الميزانية و تضخمت المصاريف الإدارية، فانعكس هذا الوضع على الأحوال الاجتماعية حيث تزايدت حركة النزوح و انتشرت أعمال النهب و السرقـة و كثرت البطالة(98).

فهذه الأوضاع جعلت من الجماهير الشعبية تتأجج غضبا خاصة بعد تحريضهما بحملة صحفية شنتها أغلب الصحف الوطنية ضدّ هذه التظاهرات « *مما جعل السلطات الفرنسية توقف بعض الجرائد كـ"الوزير" و ترفع دعوة قضائية ضـد " صوت التونسي "*»(99). فظرفية الثلاثينات و تطور الأوضاع التي حصلت خلالها جعلت الجماهير الشعبيّة تتحرّك من جديد، خاصة بعد حصول خلاف بين الجناح المتصـلب،

97) **نفس المرجع**، ص 501.

98) الطبابي (حفيظ):**الحزب الدستوري القديم (1934-1938)**. شهادة الكفاءة في البحث، تونس، الجامعة التونسية كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 1985-1986، ص من14 إلى 18.

99) **المرجع السابق**، ص 21.

جماعة " *العمل التونسي*"، و الجناح المعتدل، جماعة اللجنة التنفيذية خاصة بعد انعقاد مؤتمر نهج الجبل (12-13 ماي 1933).

ج. الخلاف بين جماعة "*العمل التونسي*" وأعضاء اللجنة التنفيذية:

لقد لعبت جماعة " *العمل التونسي*" دورا هاما في تحريض الشّعب والاتصال بها مما جعلها تأخذ صيتا وشعبية كبيرة مكنتها من أن تنتخب ضمن اللجة التنفيذية خلال مؤتمر نهج الجبل بمدينة تونس الذي عقد يومي 12 و 13 ماي 1933 فقبل أعضاء اللجنة هذا الأمر على « *مضض واضح*»[100] لأنّ هذه الجماعة لها أساليب عمل جديدة تريد غرسها في صلب الحزب الدستوري، رغم أن اللجنة التنفيذية كانت كما كتب أحمد توفيق المدني في مذكراته « *مؤمنة بأن سلوك سبل الحجة و الإقناع و تكتّل الجماهير الشعبية حول هذه السياسة الرشيدة هي التي توصلنا إلى الغاية...*»[101]. ففي هذا المؤتمر طالب بورقيبة و جماعته من الحزب « *التخلي عن وسائله البالية و برنامجه القديم... و خرج المؤتمر ببرنامج راديكالي طرح في وثيقته برنامج الاستقلال معلنا مقاطعته مع المشاركة و التعاون*» [102].

فبدأت المناورات شيئا فشيئا تبرز بين الأعضاء القدامى والأعضاء الجدد، فجماعة اللجنة التنفيذية تعودوا على احتكار القيادة فأقلقهم نجاح الأساليب الجديدة التي انتهجها جماعة العمل التونسي والتي تسعى لإقحام كافة طبقات الشعب في الحركة الحزبية. فبدؤوا ينتظرون الفرص لتشويه صورهم ولإخراجهم من الحزب وكانت الفرصة الأولى بأن اتهم البحري قيقة بإفشاء أسرار الحزب فتمت إحالته إلى مجلس التأديب و تقرر رفته من الحزب فتضامن معه رفاقه، بورقيبة و محمود الماطري و الطاهر صفر واستقالوا من اللجنة التنفيذية وأطلق عليهم اسم "*المنشقين*" مما جعلهم

100) عبد الله (إبراهيم): **شروق و غروب...، مرجع سابق**، ص 43.

101) المدني(أحمد توفيق): **حياة كفاح...، مرجع سابق**، ص 201.

102) الطبابي (حفيظ): **الحزب الدستوري...،مرجع سابق**، ص 36.

يقومون بعدة اجتماعات لإبراز أسباب الانشقاق ويعجّلون بعقد مؤتمر خـــارق للعـــادة لاستجـــلاء

الحقيقة وحسم الأمر وهذا المقترح أيدته كل الأوساط الوطنية فانتشر الخبر وبدأت الاستعدادات للقيام بهذا المؤتمر.

الفصل الثاني:

تطوّر الحركة الوطنية و تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد

1: تأسس الحزب الحر الدستوري الجديد وإشعاعه على جهة الأعراض

أ.الإعداد لعقد مؤتمر قصر هلال ومشاركة بعض مناضلي جهة الأعراض فيه:

إثر الخلاف الذي جد داخل اللّجنة التنفيذية تكثّفت جهود جماعة *"العمل التونسي"* لنشر حقيقة الأمر وتفسير أسباب هذا الانشقاق فانتظمت الزيارات والاجتماعات داخل أنحاء البلاد مع المناضلين. كما لعب المناضل بلقاسم القناوي (انظر الصفحة 99) دورا كبيرا إلى جانب المثقفين إذ كان يرافق الزعيم بورقيبة في تلك الجولات نظرا إلى مقدرته على الخطابة والإقناع إذ يقوم بتقديم شهادات حية للحاضرين على تهاون قادة الحزب القديم في العديد من القضايا وتقاعسهم في القيام بالواجب[103].

وكانت شعبة ترنجة من أهم المساندين والمدعمين للزعيم الحبيب بورقيبة وجماعته « *إذ قام العشرات من منخرطيها بحماية الاجتماعات ضمن ما سمّي بـ"لجنة النظام" كما كلفت أشخاصا متطوعين بالسهر على أمن الزعيم بورقيبة* »[104].
وقامت جماعة العمل التونسي بالتحضير لعقد مؤتمر خارق للعادة بمدينة قصر هلال للحديث عن أسباب الاختلاف فتشكلت لجنة تقوم بإرسال الدعوات إلى الشعب الدستورية في البلاد لتحديد موقفها ومنهما شعب الجنوب حيث بعث الحبيب بورقيبة ببرقية إلى شعبة الحامة طالبا « *عقد مؤتمر عام غير اعتيادي لحسم الخلاف الواقع بينكم وبين أعضاء اللجنة التنفيذية خيفة لما سيطر من اختلاف المشارب وذلك لتطمئن خواطر التونسيين والسلام*»[105].

لبّت أغلب الشعب النداء رافعة راية الموافقة والمساندة وكانت شعب أهالي الأعراض سواء المتواجدة بالعاصمة أو في المنطقة من بين المؤيّدة على عقد هذا المؤتمر لغاية إصلاح الوضع، أما جماعة اللجنة التنفيذية فقد امتنعت عن حضوره، كما

103) القناوي (بلقاسم): **مذكرات نقابي وطني...، مرجع سابق**، ص 47-48.

104) حسن (عبد الحميد): **مساهمة أبناء المطوية...، مرجع سابق**، ص 18.

105) **من المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي...، مصدر سابق**، ص 6.

امتنعت قبله عن حضور أي اجتماع حضره المنشقون، بل واصلوا اتهامهم بالخيانة والخروج عن الدين الإسلامي مدعمين بحملة صحافية قامت بها جريدة *"الإرادة"*، لسان اللجنة التنفيذية، لتشويه صورة الزعماء الجدد و إبعاد الدستوريين عن حضور مؤتمر قصر هلال.

رغم كل ذلك انعقد المؤتمر يوم 2 مارس 1934 بمنزل المناضل أحمد عيّاد، وقد حضرت المؤتمر « *حوالي خمسين شعبة* »[106] جاؤوا للمشاركة ومساندة المنشقين والتأم الاجتماع في جو من الحماس الفياض وألقى الزعماء خطبهم مفسرين أساس الخلاف كاشفين أساليب أعضاء اللجنة التنفيذية وما تميزت به من ضعف واستسلام وعدم تمثيلهم لرغبات الشعب. فقرر الزعماء الجدد بأن رجال اللجنة أصبحوا غير صالحين للاستمرار في إدارة شؤون الحزب.

واتخذت في نهاية المؤتمر عدة قرارات تاريخية من أهمها:

- حل اللجنة التنفيذية ورفت أعضائها،
- تعويضها بهيئة أخرى أطلقوا عليها اسم الديوان السياسي وانتخبوا لها في الحين الحكيم محمود الماطري رئيسا والأستاذ الحبيب بورقيبة كاتبا عاما والطاهر صفر كاتب عاما مساعدا ومحمد بورقيبة أمين مال والبحري ڤيقة أمين مال مساعدا، وأضافوا إلى الحزب لفظ "الجديد" فأصبح الحزب الحر الدستوري الجديد.

في ظل هذه الأحداث كان أهالي الأعراض حاضرين في هذا المؤتمر التاريخي ومثّلهم أحسن تمثيل بلحسن جراد رئيس شعبة ترنجة والمطوية[107] الذي ألقى خطابا هامّا طلب فيه من المؤتمر « *رفت بقية أعضاء اللجنة التنفيذية من الحزب بناء على القاعدة الاجتماعية من أن العضو الضار المعدي يجب قطعه بلا رحمة ولا شفقة* »[108].

106) الماطري (محمود): **مذكرات المناضل محمود الماطري**. تقديم عز الدين قلوز، تعريف حمادي الساحلي، القاهرة، دار الشرف، 2005، ص 55.

107) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء المطوية...، **مرجع سابق**، ص 19.

108) **من المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي...، مصدر سابق**، ص 9.

كما أن هذا المؤتمر لم يفت المناضل بلقاسم القناوي ومحمد صالح جراد من أبناء المطوية، كما تبيّن مذكرات النقابي عمر السراي[109] انضمام هذا الأخير إلى المؤتمر وحضوره له رغم عدم انخراطه في الحزب ولكنه واكب الأحداث بكل حماس بصفته وطنيا.

وقد بيّنت لنا رواية الصحبي خليفة (انظر الصفحة 95)، أحد مناضلي جهة المنزل، بأن هناك أعضاء قد مثلوا جهة قابس وهم المناضل التومي بن أحمد والمناضل محمد الشناوي والأستاذ المحامي طاهر دبية[110] (انظر الصفحة 86). ولكن لم نجد وثائق تدل على حضور هؤلاء المناضلين بل نشك إن تلك المعلومات تخص مؤتمر نهج التريبونال (1937) وليس مؤتمر قصر هلال (1934) ولم تذكر وثائق المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي مشاركة أعضاء دستورية من قابس بل بعثت النخبة الدستورية بقابس برقية إلى الدكتور محمود الماطري في 15 مارس 1934 قائلين له: « *إنّه جاءنا أخيرا إلى قابس المسمى أحمد الشطي داعية اللجنة المنحلة وأثر على بعض البسطاء فعمدوا إلى توجيه مكاتبة إلى جريدة "الإرادة" تبرؤا فيها من الرجال العاملين فأنكرت نخبة قابس هذا العمل وبعثت بتكذيب شديد اللهجة على المتقولين إلى جريدة "الزهرة"*

تعلن فيه ثقتها فيكم ودخولها تحت مقررات مؤتمر قصر هلال » [111].

---

109) **مذكرات عمر السراي**: ولد بقابس سنة 1903 وانتقل إلى العاصمة سنة 1924 حيث عمل بعديد المخابز ونظرا لظروف العمل والاستغلال في تلك الفترة سرعان ما انضم إلى العمل السياسي النقابي بانخراطه في جامعة عموم عملة المخابز. شارك في العمل الحزبي من خلال حضور العديد من الاجتماعات والمشاركة في المظاهرات حيث حضر مؤتمر قصر هلال سنة 1934 كدستوري بدون صفة نيابية كما شارك في أحداث 9 أفريل 1938. اتهم سنة 1953 بالتآمر على أمن الدولة لتهريب الأسلحة للمقاومين وسجن لمدة ثلاثة سنوات. ذكرت هذه المعلومات في مجموعة وثائق تحمل عنوان "الرجل الشاهد على قرن...عمر السراي، نضال...وبطولات. بدون تاريخ.

110) خليفة (الصحبي): **كراسات مذكرات** موجودة لدى جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس، تروي لنا أهم أحداث وتحركات الوطنيين بمدينة قابس (المنزل خاصة) من تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد 1934 إلى غاية حصول البلاد على الاستقلال سنة 1956، ص 1.

111) **المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي...، مصدر سابق.**

بعث أعضاء شعبة المطوية برقية إلى الديوان السياسي في «*غرة ذي الحجة سنة 1428* هـ/1934 قائلين: *حضرات الزعماء الأفاضل أما بعد، فالمصححون أسفله يؤيدونكم في أقوالكم و أفعالكم ما دمتم خدام الوطن المقدس تحت إمضاء الحبيب بن محمد بن حسن وفرح بن علي بن حسين بدعوى انهما يمثلان شعبة بلدنا و الحقيقة ليست بالمطوية إلى الآن شعبة البتة ولذا فإننا نعلن تبرؤنا منهم وانضمامنا إلى لجنة شعبة ترنجة الجديدة التي على رأسها السيد بلحسن بن الحاج محمد بن جراد والتي وقع انتخابها 28 شوال من السنة الجارية والسلام*» (112).

ب. تأسيس شعب دستورية تابعة للحزب الحر الدستوري الجديد داخل منطقة الأعراض وتحرّك الأهالي أثناء المحنة الأولى:

سرعان ما بدأ إشعاع الحزب الجديد ينتشر في كافة أنحاء البلاد، فعم هذا الإشعاع جهة الأعراض التي لبت النداء بتقويض أركان الحزب القديم وتجديده بتأسيس خلية حزبية جديدة تابعة للحزب الحر الدستوري الجديد، معبرة عن انبهارها وتمسكها بجماعة "*العمل التونسي*" التي رأت فيهم المنقذ. فبرجوع الجماعة إلى جهتهم حسب رواية المناضل الصحبي خليفة « *اجتمعوا مع بعض الوجوه الحزبية الوطنية مثل الصحبي خليفة ومحمد بوزيان وقرروا الانسلاخ عن الحزب القديم وتكوين شعبة تابعة للحزب الجديد*»(113). ويواصل الصحبي خليفة روايته متحدثا عن تكوين هيئة وقتية بفندق محمد بوزيان بنهج سيدي الحاج ربح يوم 6 مارس 1934 تتكون من التومي بن أحمد رئيسا والصحبي خليفة كاتبا عامّا ومحمد بوزيان أمين مال ومحمد الشناوي مساعدا له.

وفي 10 مارس 1934 بعثت الهيئة برقية إلى الديوان السياسي تعلمه بتأسيس شعبة وقتية تابعة للحزب وتعلمه بعدد المخرطين لإرسال البطاقات اللازمة وكان عددهم في البداية 54 شخصا.

112) المصدر السابق، ص 1.

113) خليفة (الصحبي): كراسات مذكرات...،مصدر سابق، ص 1.

« *بعث الديوان السياسي البطاقات الحزبية إلى جهة قابس خلال شهر جوان 1934 فوزعها أعضاء الهيئة الوقتية على جميع المنخرطين وتم على إثرها عقد اجتماع عام انبثقت عنه الشعبة الرسمية وهي تعتبر أول شعبة دستورية في جهة المنزل تكونت في نطاق الحزب الجديد* » (114).

حسب رواية المناضل الصحبي خليفة تكونت هيئة هذه الشعبة من:

- التومي بن أحمد رئيسا،
- الصحبي خليفة كاهية الرئيس،
- صالح بن علي كاتبا عاما،
- محمد الشناوي كاهية الكاتب العام،
- شوشان صالح بن عبد الله (باك صالح) أمين مال.

أما عن شعبة جارة فتفيدنا شهادة المناضل والنقابي بوبكر عزيّز (115) ومذكرات الصحبي خليفة بأنّه « *لم تتأسس أي شعبة سنة 1934 بل أن أهم دستوري تلك الجهة أمثال علي بن الكيلاني، علي الجمل، لخضر بن زيد والحسين عزيز كانوا يحضرون الاجتماعات و اللقاءات مع أعضاء شعبة المنزل* » (116). أما مذكرات المناضل عبد الله الغنوشي (انظر الصفحة 94) فتتحدث عن وجود شعبة دستورية بجارة منذ انبعاث الحزب سنة 1934 « *من بين أعضائها الحسين عزيّز* (انظر الصفحة 93) *والصحبي بلحاج محمود وعبد الله الغنوشي* » (117).

---

114) خليفة (الصحبي): **كراسات ...، مصدر سابق**، ص 1.

115) المناضل بوبكر عزيّز: من مواليد قابس مارس 1924 ، تتلمذ بالمدرسة التكميلية ثم تحصل على شهادة للتعليم. نشأ في عائلة دستورية وانخرط في الحركة الكشفية منذ أيام الدراسة . سنة 1945 شارك في بعث أول فوج كشفي (فوج طارق ابن زياد). إضافة إلى كونه دستوريّا وحزبيّا دون حمل بطاقة حزبية إذ كان من المخططين للقيام بثورة مسلحة منذ أواخر سنة 1945 ولكن كشف أمره عندما عثر لديه على بندقية فاعتقل وتم سجنه بقابس ثم نقل إلى تونس وخضع للتتبعات الأمنية بعد خروجه من السجن ثم واصل فيما بعد نشاطه الوطني والكشفي. وانخرط في الحركة النقابية بعد الاستقلال.

116) خليفة (الصحبي):**كراسات...، مصدر سابق.**

117) الغنوشي (عبد الله):**مذكرات مناضل سياسي**. بدون تاريخ، محفوظ بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، ص 7.

في حين تفيدنا مذكرات المناضل صالح الشين بنشأة هذه الشعبة سنة 1935 ويذكر من بين أعضائها:الحسين عزيز و الصحبي بالحاج محمود وعلي بن الكيلاني بن الصادق ومحمد الصالح المؤدب والبشير بن فلاح والصحبي الحذري والفيتوري بن شقرة وعبد السلام المريمي وصالح الشين[118]. ويذكر المناضل حسين عزيز في بعض وثائقه أنه منخرط في شعبة جارة منذ انبعاث الحزب سنة 1934. وهذا الاختلاف في الظرف التاريخي يعود إلى طبيعة الرواية الشفوية وما تحمله غالبا من نزعة ذاتية وملحمة بطولية لراويها من جهة ومن نقص في تحديد التواريخ بدقة من جهة اخرى. وهذا يجعلنا نتعامل مع الشهادات الشفوية بحذر، فهل تأسست حقا يوم 6 مارس 1934 هيئة وقتية تابعة للحزب الحر الدستوري الجديد بجهة المنزل و لم يمضي على انبعاثه أربعة أيام؟

أما بخصوص جهة الحامة فتفيدنا مذكرات المناضل الطاهر دعيب (انظر الصفحة 96) بأنه قد« *تم تأسيس شعبة دستورية تابعة للحزب الجديد منذ صائفة 1934 وكانت برئاسته* »[119]. لقد واصل القادة الدستوريّون نشاطهم إذ تواصلت الجولات داخل البلاد فمذكرات المناضل بلقاسم القناوي تخبرنا بالجولة التي قام بها الدستوريون بالجنوب صائفة 1934 عند زيارة فيليسين شالاي Félicien challaye (عضو رابطة حقوق الإنسان الفرنسي) إذ طـــلب الزعيم الحبيب بورقيبة من بلقاسم القناوي « *الذهاب إلى الجنوب وتهيئة اجتماع بالمطوية وآخر بقابس ليشاهد شالاي ما وصل إليه الشعب التونسي من فقر واحتياج وظلم وقهر في عهد الحماية الفرنسية. فتوجه بلقاسم القناوي مع بلحسن جراد إلى جهة المطوية فعقدا اجتماعا بالعناصر المؤيدة لهيئة المنشقين وأحاطهم علما بما وقع بالعاصمة وبالحركة المباركة الجديدة وبالجولة التي ستقوم بها هيئة المنشقين بالوسط والجنوب وأنهم سيأتون إلى المطوية في القريب مصحوبين بضيف تونس شالاي وزوجته...* »[120]. ونلاحظ من خلال ما ذكر أن أبناء المطوية

118) ضيف الله (مصطفى):مذكرات صالح الشين. في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية بقابس**، عدد 5، مارس 1986، ص 50.

119) الشابي (محمد لطفي): **أضواء حول...، مرجع سابق**، ص 315.

120) القناوي (بلقاسم): **مذكرات...، مصدر سابق**، ص 53.

انضموا بكل حماس إلى هذا الحزب. ومما يذكر في هذا الشأن أن الدكتور الماطري نصح ذات يوم بورقيبة بقوله« *إذا أردت لحركتنا النجاح لا بد من ربط الصلة بأولاد المطوية...*»[121].

ومما تجدر الإشارة إليه أن أبناء الأعراض والجنوب بصفة عامة دائما ما يقع الاعتماد عليهم في التحرّكات الجماهيرية أو أعمال المقاومة المسلحة. وهذا ما لاحظناه في ثورة الودارنة 1915 وفي خدمة أبناء المطوية للجنة التنفيذية، نجدهم ينخرطون في صلب تشكيلات هذا الحزب الجديد الذي حقق نجاحا كبيرا من خلال تعبئته للجماهير الشيء الذي جعل سلطة الحماية تسعى إلى شلّ حركته وقمع قادته يوم 3 سبتمبر 1934 باعتقال أهم زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد ونفيهم إلى الجنوب نذكر من بينهم الزعيم الحبيب بورقيبة والدكتور محمود الماطري والأستاذ محمد بورقيبة ويوسف الرويسي. ولم يبق إلا الطاهر صفر والبحري قيقة وصالح بن يوسف الذين واصلوا تسيير حركة الحزب وكان المناضل بلقاسم القناوي ضمنهم إذ يقول « *واصلنا العمل وعقدنا الاجتماعات لبث الدعاية لمقاطعة السجائر وكانت المقاطعة كاملة وشاملـــــة فأثرت على الحكومة تأثيرا كبيرا*»[122]. كما لعب المناضل بلقاسم القناوي دورا مهمّا في الدعاية والتحريض للقيام بمظاهرات احتجاجا على نفي الزعماء فأقيمت « *مظاهرة يوم 4 سبتمبر 1934 بالعاصمة تمكن خلالها المتظاهرون من مقابلة الباي الذي وعدهم بأنه سيتدخل لدى المقيم العام لإرجاع المنفيين...*» [123]

أما بجهة الأعراض « *فقد اتخذت جميع الإجراءات من قبل المراقب المدني والقايد عشية يوم 3 سبتمبر 1934 عند مرور السيارة التي تقود الحبيب بورقيبة وأخيه محمد و وقوفهما لطلب الشرب عند تزود السيارة بالوقود فاتصلا وتحادثا مع بعض الأهالي فوصل الخبر وتناقل داخل المنطقة. ومن الغد اتفق الجميع على غلق المتاجر والقيام بإضراب عام اثر الاجتماع الذي وقع ليلا، إلا أنه رغم الاتفاق بقيت عدة متاجر بسوق*

121) حسن (عبد الحميد):
مساهمة أبناء المطوية...،**مرجع سابق**، ص 17.

122) القناوي (بلقاسم): **مذكرات...، مصدر سابق**، ص 56.

123) **المصدر السابق**. ص57.

جارة تشتغل بينما أقفلت جميع المتاجر بجهة المنزل إلا متاجر اليهود. ومع العاشرة صباحا تجمهر الناس اثر وقوف السيارة التي تحمل بورقيبة من مدنين إلى قبلي فقامت خلالها مظاهرة ضمت 300 شخص اتجهت نحو مقر القايد بقيادة تونسي بن أحمد بن تونسي من شنني وحسن بن محمد بن الحاج محمد من المنزل وعند رفض القايد الخروج لهم اتجهوا إلى الأستاذ المحامي الطاهر دبية داعينه إلى اصطحابهم إلى المراقب المدني.وبعد تلك الأحداث رأت القيادة والمراقب المدني ضرورة قمع هذا الخطر..» (124). وعن هذه المظاهرة يتحدث المناضل الصحبي خليفة فيقول« *أعلنا إضرابا عاما بقابس وكان ناجحا للتعبير عن استنكارنا لأعمال القمع وتضامننا مع زعمائنا ...»* (125) .

كما وقع الاتّصال بهم في منفاهم إذ يخبرنا هذا المناضل« *بأن التومي بن أحمد قد أوفد من قبل شعبة المنزل للاتّصال بالزعماء في أقصى الجنوب والنظر في حاجتهم فطلبوا منه تزويدهم بالمؤونة فتم ذلك عن طريق محمد الشناوي بواسطة دراجته النارية* »(126).

ومذكرات الدكتور محمود الماطري تؤكد ذلك إذ يقول« *في منفى بن قردان وفي أخر العشية زارنا بعض الأصدقاء القادمين من قابس حملوا إلينا أخبارا مشجعة وكذلك الصحف الصادرة في الصباح*»(127). فبنفي قادة الحزب في تلك المناطق البعيدة زاد أهلها اتصالا وقربا لهؤلاء وحبا للحزب الجديد إذ ازدادوا حماسا واستعدادا للتضحية في سبيل الوطن بعدما زادت السلطات الاستعمارية في ظلمها وقمعها، إذ ألقت القبض على ما تبقى من زعماء الحزب « *إثر المظاهرة التي قامت غرة جانفي 1935 بأسواق العاصمة حيث وقعت ضجّة كبيرة عند دخول الباي جامع الزيتونة فصاحت الجماهير في وجهه طالبين رجوع المبعدين...»* (128).

(124 DELLAGI (M): **Répression et résistance, Synthèse de documents secrets.** Tunis, Maison Tunisienne de l'Edition, Sans date, pp: 27, 52, 53.

125) خليفة (الصحبي): **كراسات...، مصدر سابق**، ص 2.

126) **المصدر السابق**، ص 2.

127) **مذكرات المناضل محمود الماطري...مصدر سابق**، ص 64.

128) القناوي (بلقاسم): **مذكرات...، مصدر سابق**، ص 58.

فصمت الباي من جهة وتسلط المقيم العام بيروطون "Peyrouton" من جهة أخرى، جعل هيئات الشعب تجتمع للاتفاق على تنظيم مظاهرات في كامل أنحاء البلاد.

وتبرز مذكرات بلقاسم القناوي أهمية الدور الذي قام به من دعاية وتنسيق للقيام بهذا الاجتماع إذ يتحدث قائلا « *قبل المظاهرة بيومين كونت عددا كبيرا من شباب المطوية وكلهم يحملون لباسا واحدا وهو الكدرون وفوق سواعدهم المفتولة شارات العلم التونسي وليكونوا في مقدمة المظاهرات وخلف الديوان السياسي*»[129] .

وفعلا قامت تلك المظاهرة التي شارك فيها « *قرابة 30000 وطني*»[130] «*حيث انطلقت من نهج الحلفاوين وصولا إلى شارع فرنسا إذ قدم الديوان السياسي لائحة احتجاج باسم الحزب على عدم رجوع المبعدين*»[131]. وإثر هذه المظاهرة ازدادت السلطات الفرنسية غضبا فقامت « *بإغلاق كافة نوادي الحزب ووقع تطويق ترنجة بعدد كبير من الجيش والقي القبض على 36 من أبناء المطوية وزج بهم في السجن المدني*»[132]. كما وقع« *إلقاء القبض على مجموعة من الدستوريين(المطاوى) وأبعدوا عن العاصمة وأرجعوا إلى مسقط رأسهم*»[133].

كما ألقي القبض أيضا على المناضل بلقاسم القناوي ومحمد صالح جراد و« *تعرضا إلى الضرب والشتم وبعد ثلاثة أيام من بقائهما في السجن المدني وقع ترحيلهما إلى الجنوب العسكري (برج الباف)*»[134] حيث تم اللقاء مع الزعماء المنفيين«*ورفعوا معنوياتهم*» [135] بإخبارهم عن موجة المظاهرات الاحتجاجية التي عمّت البلاد.

---

129) **المصدر السابق**، ص 63.
130) **النهضة**، 29 مارس 1935.
131) القناوي (بلقاسم): **مذكرات ...، مصدر سابق**، ص 63.
132) **المصدر السابق**، ص 67.
133) **الزهرة**، 16 افريل 1935.
134) حسن (عبد الحميد): مساهمة...، **مرجع سابق**، ص 67.
القناوي (بلقاسم): **مذكرات ...، مصدر سابق**، ص 67.
135) **المصدر السابق**، ص 69.

وقد حقق الحزب الجديد شعبية كبيرة والتفافا جماهيريّا حوله رغم بداية نشأته فهو حركة فتية سرعان ما وجدت القبول وهذا ما رصدناه خلال المحنة الأولى لهذه الحركة وكان لأبناء الأعراض وخاصة المستقرّين منهم بالعاصمة الدور الفعال في الصمود والنضال من اجل مطالب الحزب والتعرض لأنواع القمع والاضطهاد.

ج. قيام مناضلي الأعراض بنشر النشاط الحزبي داخل منطقة التراب العسكري بالجنوب التونسي:

لم يقتصر نشاط أهالي الأعراض على منطقتهم بل امتد خارجها ليشمل منطقة شديدة المراقبة ذات نظام عسكري متصلب يمنع القيام بأي تحركات وبأي نشاط سياسي إذ بقي الجنوب معزولا عن كل التنظيمات السياسية والحزبية وبقي أهله مبعدين عن أي نشاط وطني منظم ضمن خلية أو هيئة حزبية رغم « *محاولات قادة الحزب منذ سبتمبر 1934 إلى أفريل 1935 نذكر على سبيل المثال محاولات الدكتور محمود الماطري بين قردان ومحمد بورقيبة بتطاوين وصالح بن يوسف بقبلي والبحري قيقة بمدنين*» (136).

واصل مناضلو جهة الأعراض مهمة نشر الدعاية الحزبية داخل أراضي الجنوب التونسي و شملت « *فئة سائقي الحافلات والتجار الذين يترددون دائما على تلك الجهة مثل علي زواري وهو مراقب في الحافلة، أصيل منطقة قابس والتي كانت له علاقات مع أهالي مدنين*» (137). وقد اعتقلت السلطات العسكرية الفرنسية « *يوم 28 أوت 1937 بجهة مدنين مواطنا اسمه حسين بن محمد عبيد بن حسن النحالي القابسي وهو تاجر جاء لمدنين لشراء وسادات وضبط لديه 80 بطاقة انخراط في الحزب الدستوري و 360 وصل، وعند التحري معه من قبل السلط الفرنسية اعترف قائلا: "لقد تم تكليفي*

---

136) **Série Tunisie, Fonds de la Résidence**: Bobine Q23, Carton 390, Dossier n°1,2797: Rapport de chef de bataillon le Foud. Chef de Bureaux des affaires indigènes de Medenine à Mr. le Résident G. de la R.F, le 28 Août 1937 date 1933/09 à 1941/10.

137) المصدر السابق.

من الحزب الدستوري لجمع مشتركين لفائدته ولكن بدون أن أسلط أي ضغط على أهالي الجنوب العسكري ولم أتحصل على ترخيص من الحزب للقيام بهذا العمل وأتيت لـــــشراء وسادات لكنني لم أجد هذه الحاجات في مدنين فذهبت إلى بني خداش و أنا حامل هذه الوثائق والأوراق". كما وجدت السلطات الفرنسية داخل هذه الأوراق بطاقة تحمل اسم أحمد بن محمد بن علي بن حبيب الونيسي وقع تسجيله بالحزب تحت رقم 52355 »[138].

ونلاحظ من خلال ما ذكر أهمية الدور الذي قام به بعض مناضلي الأعراض في نشر أهداف الحزب وتمكّن البعض منهم اختراق المراقبة الشديدة التي فرضتها السلطة الاستعمارية على منطقة التراب العسكري.

كما يبين تقرير الضابط، رئيس مكتب الشؤون الأهليّة بتطاوين يوم *15 أكتوبر 1937* « *بأن جهة مطماطة وهي تراب عسكري انتشرت بها الدعاية الدستورية بعد تأسيس خلية حزبية بمارث ولقد كشفت السلطات اثنين من أهالي مارث بعثا لمطماطة لبث الدعاية الحزبية وهما علي بن سالم الحداد وحمد بن عمر الصغير اللذان قاما باجتماع في مشيخة توجان وتمكنا من كسب 60 منخرطا داخل الحزب وتأسيس خلية حزبية بالمنطقة* » [139]. وبيّن تقرير رئيس مكتب مطماطة المؤرّخ في جانفي 1938 بأن « *هناك محاولات لتأسيس خلايا حزبية بمشيخة زوارة وفي 3 جانفي 1938 قام صالح بن يوسف وعلالة العويني صحبة عبد المجيد شمام من قابس باجتماع في مدنين*» [140].

ويوم 6 جانفي من نفس السنة كان صالح بن يوسف ومحمد بورقيبة رفقة التومي بن احمد في سيارة تحمل العلم التونسي متخذة طريق مارث توجان وهو طريق ممنوعة الجولان بالسيارة بدون رخصة[141].

138) المصدر السابق.

139) نفس المصدر.

140) نفس المصدر.

141) نفس المصدر.

لم تتوقف محاولات قادة الحزب وأعضائه المنتشرين بجهة الأعراض لمواصلة اتصالاتهم بالجنوب العسكري إلى غاية سنة 1942-1943 حيث روى المناضل عبد الله الغنوشي أنه « *كان تاجرا وكان يتردد على مدنين لشراء الخضر والغنم، وعرف هناك شخصا من قابس صاحب دكان لبيع الأحذية يدعى محمد السريدك وكان يسهر في دكانه مع نخبة من زملائه الوطنيين فاقترح عليهم تكوين شعبة دستورية سرية فأجابه محمد السريدك:" هذا الأمر صعب جدا حيث نعيش في تراب عسكري أي بين الحديد والنار وقد قدم إلينا في السنة الماضية الأخوان عبد السلام النوري وعبد السلام الفاسي من سكان قابس وقبلهما التومي بن احمد ومحمد الشناوي وتناقشوا معنا في الأمر ولم يفلحوا*" » [142]. ولكن بعد أسبوعين اكتشف أمر المناضل عبد الله الغنوشي فأخذت الشرطة تبحث عنه لأنه لم يأت للتجارة و إنما لتعاطي السياسة وتكوين شعبة دستورية[143].

من خلال رواية هذه الأحداث نلاحظ أهمية الدور الذي قام به بعض مناضلي الأعراض من خلال محاولاتهم المتعددة والمتكررة لبعث هيئة حزبية وتركيز نشاط حزبي بجهة تميزت بقسوة نظامها العسكري الذي شل حركة الأهالي ولكن لم يقتلها.

2. انتصار الجبهة الشعبية الفرنسية واستعادة النشاط الحزبي في البلاد التونسية:

أ. انفراج الأوضاع ومواصلة تركيز شعب دستورية بالجهة:

ارتقت قائمة الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا في ماي 1936 اثر انتصارها في الانتخابات التشريعية التي جدّت في أفريل 1936 واعترفت بالحزب وقررت تطوير نظام الحماية وفتح الحوار مع الشعوب المستعمرة وقامت بتغيـــــير "الطاغية" بيروطون "Peyrouton" بمقيم عام جديد أرمون قيون"Armand Guillon". فانفرج الوضع بصدور العفو العام في ماي 1936 حيثأطلق سراح المنفيين ببرج البـــــاف « *باستثناء الزعماء، فقد أبقت بجربة الحبيب بورقيبة والطاهر صفر وصالح بن يوسف ومحمد*

142) الغنوشي (عبد الله): مذكرات ...، مصدر سابق، ص 13.

143) المصدر السابق، ص 13.

إبراهيم وفي قابس محمود الماطري والبحري قيقة ومحي الدين القليبي»[144].

ويروي الدكتور محمود الماطري عن تلك الأيام التي قضاها مع رفاقه عندما نقلوا إلى قابس يوم 19 ماي 1936 إذ يقول« *لا يمكن أن أنسى ما خصنا به أهل تلك المدينة من استقبال حماسي وما أبداه أصدقاؤنا الدستوريّون نحونا من إخلاص وفي مقدمتهم صديقي الأستاذ المحامي الطاهر دبية*»[145]. ولم يطلق سراح المعتقلين إلا بعد يوم 12 ماي 1936 « *بعد زيارة أرمون قيون إلى الجنوب والاتصال بهم وتذكيرهم بالشروط التي تم بمقتضاها الإفراج عن بعض المنفيين بهدف تهدئة الأوضاع*»[146] ومن أهم الشروط عدم السماح بتعاطي أي نشاط سياسي و لا عقد اجتماعات.

كما استرجع الخاضعون للإقامة الجبرية حريتهم« *وصدرت مجموعة من الأوامر بتاريخ 6 أوت 1936 أباحت الحريات العامة مثل حرية الصحافة وحرية الاجتماعات*»[147]، فاستكملت الحركة الحزبية تنظيم صفوفها بعد أن تعطل نشاطها مدة سنتين فتكثفت الاجتماعات « *وتكثفت الدعاية الحزبية التي استطاعت خلال بعض الأشهر تكوين 254 هيئة حزبية داخل البلاد إذ استعاد الحزب قوته من جديد مما جعل الزعيم الحبيب بورقيبة يصرح بأنه في حالة رجوع القمع من قبل السلطات الفرنسية كامل البلاد ستتأهب للثورة خلال ساعات*»[148]. فدب النشاط السياسي من جديد أيضا في جهة الأعراض إذ « *فتح نادي الشعبة الدستورية بالمنزل وهو مقهى مروان داي سابقا*»[149].

144) القناوي (بلقاسم): **مذكرات...، مصدر سابق**، ص 78.

145) **مذكرات مناضل محمود الماطري...،مصدر سابق**، ص 99-100.

146) **الزهرة**:14،13،12 ماي 1936.

147) **Archives Diplomatiques, Affaires indigène 1937**: Q 23, Dossier 391, p59

148) **المصدر السابق**، ص 59.

149) خليفة (الصحبي):**كراسات...، مصدر سابق**، ص 3.

وازداد عدد المنخرطين في الحزب فأصبح اسمه في كل مكان وداخل كل قرية وكان ذلك نتيجة حملة دعائية قامت بها شعبة قابس بتأسيس شعب في معظم جهات الأعراض« *فكونوا شعبة النحال ورئيسها حسين عبيد وشعبة بوشمة ورئيسها علي السلامي أما غنوش فامتنع أهلها قائلين الدستور"فيشي مم" (هل فيه أكل) فأجابهم أعضاء الشعب فيه كد وعمل*» [150]. في شهر أوت من سنة 1937 يذكر المناضل الصحبي خليفة «*ذهاب وفد متكون أولا من الصحبي خليفة والتومي بن احمد وثانيا صالح بن علي وعبد السلام الفاهم وعبد العزيز ونيس إلى مارث وكونوا شعبة رئيسها محمد شعير ثم تحولوا إلى الزارات فكونوا شعبة رئيسها محمد التومي وعند رجوعهم إلى قابس كونوا شعبة تبلبو ورئيسها عمر الغنوشي*» [151].

نتبيّن أن الدستوريين لم يجدوا صعوبة في نشر الدعاية وتكوين الشعب ويفسّر ذلك بأنّ مواطني الجهة كانوا مواكبين لكل تطورات الأحداث عبر انتشار الصحف وحكايات النازحين الباقين على اتصال بأوطانهم.

أما بخصوص الحامة فقد وقع تجديد انتخاب هيئة شعبة الحامة الدستورية ففـــي « *يوم 22 أكتوبر 1937 وقع اختيار الطاهر دعيب (رئيسا)؛ والكيلاني بوطارة (كاهية رئيس)؛ وعلي حضر (كاتب عام)؛ ومحمد بن علي الأعتر (كاهية)؛ والتوهامي السوداني (أمين مال)؛ والطيب مختار (كاهية) والأعضاء محمد خضر؛ محمد بوبكر؛ محمد بن الحاج جيلاني؛ الطيب محمد دعيب؛ عمار بن مبارك؛ محمد النويقصي الساحلي؛ صالح بن علي الشايبي؛ الطاهر الزاي؛ البشير بن المبروك القصري؛ الطاهر الحجام وأعضاء معتمدون: عبد الله الحاج محمد السوداني الزاير، وضو بن أحمد بن أحمد*» [152].

---

150) **المصدر السابق**، ص 3.

151) **نفس المصدر**، ص 3.

152) الشايبي (محمد لطفي): **أضواء حول...،مرجع سابق**، ص 325.

ب.التواصل الدائم مع الديوان السياسي وتطبيق تعليماته:

كان أعضاء هيئات الشعب المتواجدة بجهة الأعراض على اتصال دائم ووثيق مع الديوان السياسي بحكم تنقلاتهم المتكرّرة إلى العاصمة والاعتماد على ذويهم المستقرّين بها، فكانت تلبي كل تعليماته وأوامره وهذا ما يتجلى خاصة عندما أرسلت حكومة الجبهة الشعبية بالوزير بيار فيينو "Viénot (P.)"[153] إلى تونس يوم 18 فيفري 1937 والذي قام بجولة في أنحاء البلاد وأعلم الديوان السياسي أعضاء شعبة قابس بزيارة الوزير الفرنسي إليهم « *وطلب منهم حسن استقباله فنفذت شعبة قابس توصيات الحزب باستقباله استقبالا حماسيا مبينين شدة التحامهم والتفافهم بالحزب، فتعالى التصفيق والزغاريد والهتاف بشعارات نادى بها المواطنون "تحيي تونس يحي الحزب برلمان تونسي يحيا فيينو تحي فرنسا الحرة يسقط الاستعمار" وعند وصول ركب الوزير إلى المراقبة المدنية أراد الأعضاء الدستوريون مقابلته وكلفت فتاة (عائشة بنت محمد بن خضر) ترتدي الزي القابسي حاملة العلم التونسي كرداء لها وبيديها باقة زهور هدية إلى الضيف كتب عليها "تونس تستقبل ضيفها الكبير السيد فينو" وتمكن بعض القادة الدستوريين من مقابلة الضيف معبرين له عن استبشارهم بوعود الحكومة الفرنسية الجديدة وبالأمل الكبير الذي ينتظرونه منها* » [154].

وتؤكّد شهادة الصحبي خليفة هذا الاتصال الدائم بالديوان السياسي حين يقول بأنه « *وفي 8 جويلية من نفس السنة ذهب وفد من أعضاء شعب قابس لاستقبال الزعيم الشيخ عبد العزيز الثعالبي العائد من منفاه بالشرق وذلك استجابة لاستدعاء الديوان السياسي ويتركب هذا الوفد من الصحبي خليفة والتومي بن احمد ومحمد بوزيان ومحمد الشناوي والنفطي بن الحاج الصحبي وتكفل الوفد كل مصاريف السفر والتنقل إلى العاصمة* »[155].

153) بيار فيينو (Pierre Viénot): هو كاتب الدولة للشؤون الخارجية المكلف بالشؤون التونسية والمغربية.

154) بن جراد (بلقاسم) :**قابس عبر التاريخ...، مرجع سابق**، ص 252.

155) **المرجع السابق**، ص 252.

ودامت إقامتهم أربعة أيام وتمّ تكليف الصحبي خليفة من قبل الزعيم بورقيبة بمراقبة الشيخ عبد العزيز الثعالبي ونقل الأخبار إليه [156] لأن اللجنة التنفيذية عمدت إلى إحداث الفتنة بينه وبين بورقيبة[157].

3. فشل التعامل مع الحكومة الفرنسية واندلاع أحداث 9 أفريل 1938 (المحنة الثانية):

أ.انعقاد مؤتمر نهج التريبنال وتأسيس جامعة الأعراض:

خاب ظن الحزب في سياسة وعود حكومة الجبهة الشعبية وتأكد بالتالي أن سياسة التفاهم معها قد فشلت خاصة عند عزلها للوزير"بيارفيينو" الذي عرف بتفهمه للمطالب الوطنية. شرع الديوان السياسي في الاستعداد لعقد مؤتمره الثاني بنهج التريبنال من 30 أكتوبر إلى 2 نوفمبر 1937. وفي إطار اتصالاته بشُعبه وجّهت الدعوة إلى مناضلي الأعراض: كل من الطاهر دبية « *الذي ساهم في أشغاله بصفته رئيس شعبة المنزل وشنني ونائبهما* »[158] كما أكدت مذكرات الصحبي خليفة مشاركة الطاهر دبية والصحبي خليفة والتومي بن أحمد ولا ندري هل هناك أعضاء آخرون من شعبة جارة قد حضروا المؤتمر؟ « *كما لم نتعرف على أسماء أعضاء الوفد الذي رافق الطاهر دعيب لتمثيل شعبة الحامة ولكن بينت عدة شهادات من مصادر مختلفة أن المناضل الطاهر دعيب كان على اتصال وثيق بأعضاء شعبة الحوامية بنهج القعادين (بطحاء سيدي الجبالي بباب سويقة) وخاصة مع الطيب الشريف بتونس العاصمة ومفتاح فرحات* »[159]. كما شارك في هذا المؤتمر ابن الأعراض الأستاذ جلولي فارس (انظر صفحة 91) الذي عرف بنشاطه الوطني داخل *"المعهد الصادقي"*.

---

156) **نفس المرجع** ، ص 253.

157) **لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري 1931**-1974، بعث أمة وبناء دولة، ص 18.

158) الشابيي (محمد لطفي): معطيات حول نضال بعض وجوه الصادقية أصيلي جهة الأعراض (1875-1955). **في المجلة الصادقية**، عدد 43، أكتوبر 2006، ص من 14 إلى 22.

159) الشابيي (محمد لطفي): **أضواء...، مرجع سابق**، ص 325.

وقد بين الحبيب بورقيبة في هذا المؤتمر موقف الحكومة الفرنسية ورجوعها إلى السياسة القديمة فطالب « *بالمثابرة على الكفاح وتنسيق العمل الجماهيري" مؤكدا ضرورة مساندة القادة في المغرب والجزائر قائلا " قد آن تحكيم القوة" و "المعركة إذن ضرورية"*»[160] فأيدته كافة أعضاء شعب الأعراض متمسكين بإدراج مطلب الاستقلال في برامج الحزب وبضرورة الكفاح ومقابلة العنف بالعنف مساندين بذلك الشق الراديكالي في الحزب.

بعد عودة أعضاء شعب الأعراض من العاصمة تـم تأسيس جامـعة الأعـراض « *وأسندت رئاسة الجامعة للطاهر دبية والكتابة العامة للطاهر دعيب بعد انتخابهما ثم تم انتخابهما كأعضاء في المجلس المحلّي للحزب الحر الدستوري*»[161]. ومثل أمين مال الجامعة «*الجيلاني العزوزي وكان هدف جامعة الأعراض جمع الشعب وترويج بطاقات الحزب والطوابع البريدية وجمع الأموال*» [162].

ويمكن القول بأن الجامعة تأسست سنة 1937 بعد أشغال مؤتمر التريبنال وبدأ النشاط الوطني يتضاعف مع تكثف النشاط الاستعماري، وتلبية لإحدى مطالب المؤتمر الثاني قام الأهالي بمظاهرات احتجاجا على ما يحصل في المغرب والجزائر وكان ضمن هذه المظاهرات عدد كبير من أهالي الجنوب بالعاصمة فاجتاحت البلاد اثر هذه الأحداث موجة من العنف والاضطهاد لم يسبق لها مثيل وهذا ما يبينه المناضل الطاهر دعيب بقوله « *فالاعتداء اليوم بلغ حده وأعوان الجندرمة يجوبون البلاد طولا وعرضا ويسلطون خطاياهم على كل من يتكلم وهم يقتحمون المنازل والدكاكين بدعوى البحث على "المهرب" ويحجزون كل ما يعثرون عليه من السلاح العادي بدعوى امتلاك السلاح العادي بدون رخصة*» [163]. وازداد هيجان الأهالي نتيجة سماعهم بكثرة الاعتقالات التي تعرض لها زعماء الحزب في العاصمة وكان ذلك في شهر أفريل 1938.

160) محجوبي (علي): **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ص 122-123.

161) الشابي (محمد لطفي): **معطيات حول نضال...،مرجع سابق**، ص 14-22.

162) ضيف الله (مصطفى):**مذكرات صالح الشين...،مرجع سابق**، ص 49.

163) الشابي (محمد لطفي): أضواء...، مرجع سابق، ص 325.

ب. مشاركة أهالي الأعراض في أحداث 9 أفريل 1938:

أدى تأزم الوضع ومواصلة سياسة العنف إلى الدخول في معركة دموية مع القوات الفرنسية التي تجسدت في أحداث 9 أفريل التي انطلقت من العاصمة وعمت أغلب جهات البلاد.

« *واعتبر المناضل جلولي فارس المسؤول الأول عن المظاهرات التي نظمها تلامذة الصادقية للاحتجاج عن فصل أستاذهم علي بلهوان عن هيئة التدريس 25 مارس 1938* » [164] فكان ضمن أعداد كبيرة من نازحي الجنوب الذين خاضوا هذه المعركة الدموية أمثال « *الطيب بن بلقاسم ناجح* (انظر صفحة 98) *الذي شارك في هذه المظاهرة وكان من بين الذين ينقلون الجرحى الملقون في شوارع العاصمة* » [165]. كما « *استشهد في هذه المعركة ابن الأعراض علي بن الفرجاني الجريدي أصيل منطقة وذرف* » [166].

ما إن سمع مناضلو جهة الأعراض الأحداث الدموية التي جدت بالعاصمة حتى نظمت شعبة المنطقة «*اجتماعا مشتركا يوم 9 أفريل ليلا لإعلام إضراب لمدة ثلاثة أيام تعميما لأعمال الشغب في كامل البلاد وتطبيقا لسياسة الحزب فقام المراقب المدني باستدعاء كل من الطاهر دبية رئيس جامعة الأعراض ورئيس شعبة المنزل والجيلاني العزوزي رئيس شعبة جارة وأمين مال الجامعة وهددهما بالسجن والنفي عند حصول أي إضرابات*»[167].

وفي يوم الغد تعرض مقر نوادي الشعب الدستورية بالمنطقة إلى الاقتحام وتخريب أثاثه وكل محتوياته من أوراق ووثائق وصور لزعماء الحركة من قبل الجنود الفرنسيين والسنغاليين المدججين بالسلاح والتحق بهم عدد من الصبائحية وصعد أحدهم

164) الساحلي (حمادي): **إحياء ذكرى المناضل جلولي فارس، حياة حافلة بالكفاح في سبيل استقلال تونس.** في **المجلة الصادقية**، العدد 26، أفريل 2002، ص 18.

165) شهادة المناضل الطيب بن بلقاسم ناجح: المسجلة بالحامة أيام 14،13،12 أفريل 1993 و المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

166) **السجل القومي لشهادة الوطن:** تونس، دار العمل للنشر والتوزيع والصحافة، ص 50.

167) خليفة (الصحبي): **كراسات...، مصدر سابق**، ص 3.

إلى سطح النادي فكسر العصا الحاملة للعلم التونسي وألقى به أرضا فتتالت هتافات الوطنيين صائحين منددين ومهددين جميعا "*إضراب عام ومظاهرة*"(168).

فوقع الاتفاق بعد تلك الحادثة على عقد اجتماع« *بغابة الحسين عبيد بالنحال حضره نواب عن جارة وهم صالح الشين الحسين عزيز والصحبي بن الحاج محمود ونواب عن المنزل محمد الشناوي الطاهر واجه بهلول بيداني والهادي العمراني وعن الحامة محمد الأعتر والطاهر دعيب ونائب من المطوية وهو عبد الله جراد ومحمد خشريف عن وذرف والحسين عبيد عن النحال وصالح بن علي عن شنني ووقع الاتفاق إثره على القيام بأعمال فردية مثل حرق أعمدة الهاتف وتخريب السكك الحديدية*»(169).

وحسب شهادة المناضل عبد الله الغنوشي « *عقد اجتماع كبير في جهة قابس ببطحاء مسجدي الحاج عمر وسيدي بوعلي التي غصت بالجماهير رجالا ونساء وعلا الهتاف «يسقط الاستعمار.. برلمان تونسي.. الاستقلال التام... الموت للمستعمر*» (170).

كما تفيدنا مذكرات هذا المناضل بأنه « *في أثناء هذه المظاهرة صعد رئيسا شعبتي المدينة المحامي الطاهر دبية والجيلاني العزوزي إلى روضة سيدي بوعلي فخطبا في الجموع الغفيرة ونصحا بالتزام الهدوء معللين أنهما اتصلا بالمراقب المدني وسلماه رسالة احتجاج ولكن هذا الكلام زاد الناس هيجانا فارتفعت الشعارات من جديد" الجهاد في سبيل الله الموت في سبيل الوطن ورفعت إحدى النساء (حليمة بنت الغريبي) ساطورا قائلة" نريد الموت للمستعمر" ...*» (171).

ويواصل الغنوشي حديثه عن الطاهر دبية والجيلاني العزوزي« *ألحا على الحاضرين ضرورة الالتزام بالهدوء لان الظروف خطيرة جدا ونصحا الجميع بان لا يلقوا بأنفسهم*

168) المنياوي (حسن): مشاركة قابس في المسيرة النضالية (1934-1954). في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس**، عدد 2، ديسمبر 1985، ص 23.

169) ضيف الله (مصطفى): مذكرات صالح الشين...، **مرجع سابق**، ص 50.

170) التركي (عروسية): 9 أفريل كما يرويها المناضل عبد الله الغنوشي. في **مجلة البحوث والدراسات التاريخية**، عدد 6، سنة 1987، ص 26-28.

171) الغنوشي (عبد الله): **مذكرات مناضل...، مصدر سابق**، ص 15.

إلى التهلكة، ولكن الحاضرين واصلوا مظاهرتهم التي جابت شوارع المدينة متجهة نحو مقر القايد مصطفى اللنقو عامل الأعراض الذي خرج لهم وطلب منهم ملازمة الهدوء واعدا تبليغ مطالبهم إلى الباي (أحمد باي الثاني 1929-1941)» [172] ومن الغد استفاق الأهالي على حملة مضايقات وتتبعات.

ج. تشديد المضايقات والالتجاء إلى العمل السياسي السري:

إثر أحداث 9 أفريل قامت السلطات الفرنسية بإعلان حالة الحصار في البلاد فألقت القبض على قادة الحزب الحر الدستوري الجديد وعلى رأسهم الزعيم الحبيب بورقيبة كما حلت الحزب وعطلت الصحف التونسية.

وتعرض مناضلو الأعراض مثل بقية المناضلين في البلاد التونسية للاعتقال والمطاردة فاعتقل العديد من الوطنيين بشعبة نهج القعادين ببطحاء سيدي الجبالي ومعهم مناضلو شعبة ترنجة « قرابة 27 مطويا من المشبوه فيهم »[173].

ولم يمنع مناضلو الأعراض في جهاتهم من هذه الاعتقالات و أعمال العنف في المطوية إذ« *وقع إيقاف ثمانية دستوريين بالإضافة إلى غلق نادي الشعبة وحجز أثاثه ثم وقعت محاصرة القرية من طرف عسكر السينغال*»[174]. وفي قابس تم إلقاء القبض على عدد كبير من المناضلين « *نذكر منهم الصحبي خليفة و الطاهر واجه وعبد المجيد شمام ومحمد صالح جراد ومحمد خريشيف والحسين عزيز وعبد السلام النوري ومحمد صالح المؤدب وحسن عبيد ومحمد الأعتر*» [175] كما « *صدر قانون من المقيم في إبعادهم لكن القايد مصطفى اللنقو لم يوافق وقام بإطلاق سراح الموقفين بعد 10 أيام من السجن المضيق*»[176].

172) التركي (عروسية): 9 أفريل...،**مرجع سابق**، ص28.

173) حسن (عبد الحميد): **مساهمات أبناء المطوية...، مرجع سابق**، ص9.

174) **المرجع السابق**، ص 9.

175) خليفة الصحبي: **كراسات...، مصدر سابق**، ص 3.

176) **المصدر السابق**، ص 3.

ويواصل المناضل الصحبي خليفة روايته عن التنكيل والتتبعات التي لم يسلم منها هؤلاء المناضلون إذ تمت مضايقتهم مرة أخرى يوم 22 أفريل 1938 من قبل المراقب المدني والقايد ومحافظ الشرطة وقالوا لهم « *إنكم لم تمسوا بأذى ولم ولن تعذبوا أي إننا احترمناكم لذلك عليكم احترامنا وقد أطلقنا سراحكم بضمان من الأعيان ومن والديكم فلا تقوموا بأعمال أخرى*» (177).

لم يمنع التهديد الجماعة من مواصلة النشاط رغم إغلاق نوادي الشعب التي خربت، فركنت حركتهم إلى السرية وتواصلت الاجتماعات داخل بيوتهم، فقاموا حسب رواية الصحبي خليفة « *في شهري أكتوبر وديسمبر من نفس السنة بإضراب كبير وواصلوا تعليق المناشير فألقي القبض مرة أخرى على الصحبي خليفة وعبد المجيد شمام والطاهر واجه*» (178) كما « *تعرض رئيس جامعة الأعراض الأستاذ الطاهر دبية إلى الاعتقال و الاضطهاد (في فترة المقاومة و الصمود 1939ـ1941)*»(179).

برزت منذ هذه السنة مطامع إيطاليا في الاستيلاء على تونس خاصة بعد خطاب موسوليني الذي نادى فيه بشعار تونس لنا فقامت الحكومة الفرنسية بإرسال رئيسها "دالادي" في 2 جانفي 1939 لتثبت تمسكها بتونس فقام بزيارة جهة الأعراض في جولة تفقدية لخط مارث العسكري الذي عرف باسمه.

فقام أعضاء شعب جهة قابس حسب رواية الصحبي خليفة « *بعقد اجتماع في زاوية سيدي مروان ودار علي الجمل لتحضير المعلقات والأشرطة واللوائح والمناشير وقاموا بإحضار المناضلين وكلفوهم بالعمل والظهور في الوقت المناسب فألقي القبض على مخططي هذا الاجتماع وهم المناضلون التومي بن أحمد؛ الحسين عزيّز والصحبي خليفة و البهلول بيداني وعبد السلام النوري ولكن نفذ الدستوريون الخطة فعلقت اللافتات في شوارع المدينة وخاصة بشارع البشير الجزيري حاليا الذي مر به الرئيس*

177) **المصدر السابق**، ص 4.

178) **نفس المصدر**، ص 4.

179) الشابي (محمد لطفي): معطيات حول...,**مرجع سابق**، ص من 14 إلى 22.

الفرنسي وكتبت الشعارات: "تسقط فرنسا الاستعمارية يحيى الزعماء برلمان تونسي حكومة مسؤولة" في ذلك الحين أراد حراس "دالادي" دوس الناس المتظاهرين بخيولهم ولكنه منعهم من القيام بذلك » (180).

تأكد لدى الرئيس الفرنسي مدى قوة الشعب التونسي ومدى تصميمه على استرداد سيادته فلم تفلح موجة القمع في إتلاف كل براعم المقاومة لأن السلطات الفرنسية توهمت أنها أخمدت بالإرهاب أصوات المناضلين لكن هؤلاء مضوا يثبتون وجودهم بالكتابة على الجدران وبترويج المناشير والمطبوعات السرية.

وهذا ما أثار مخاوف السلطات الفرنسية فقامت في أفريل 1939 خوفا من إحياء ذكرى 9 أفريل باعتقال حسب رواية الصحبي خليفة« *أهم الأعضاء الناشطين في الشعب الحزبية بجهة الأعراض أمثال الصحبي خليفة و الطاهر واجة و عبد المجيد شمام و صالح عبد الله بن عيسى و البهلول بيداني و الحسين عزيز و عبد السلام النوري و الحبيب شقرة وعبد الله جراد و محمد الاعتر و علي خضر ومكثوا في السجن 10 أيام وبالرغم من ذلك قام الأهالي بالاحتفال بالذكرى(إضرابات، تشويش، مناشير)*» (181).

استؤنفت الحركة الوطنية من جديد حيث قام المناضلون ببعض عمليات التخريب والمظاهرات فبادرت مصالح البوليس باستنتاج أن الحزب قد بعث للوجود ووجهت اهتماما نحو كل الأشخاص الذين تعلقت بهم شبهة التعاطف مع الدستور الجديد فأصبح هؤلاء محل مراقبة دائمة في كل أعمالهم وحركاتهم(182).

و في إطار التحقيق و البحث عن مسيري الدواوين السرية للحزب و مرتكبي الأعمال التخريبية اعتقل العديد من مناضلي شعبة نهج القعادين ببطحاء سيدي الجبالي و تم إعتقال مبروك عبد الصمد و إبراهيم بن الجيلاني الحناشي و مفتاح فرحـــــات

180) **المصدر السابق**، ص 4.

181) **نفس المصدر**، ص 4.

182) المحجوبي (علي): **الحركة الوطنية...**, **مرجع سابق** ، ص 76.

شهر "موڤو" و مفتاح سعد الله[183].

وهذا القمع لم يقض على نشاط الوطنيين بجهة الأعراض بل زاد من حماسهم واتصالهم بالحزب الذي التجأ إلى العمل السري بقيادة رجال مثل الباهي الأدغم والحبيب ثامر[184] فتتبعوا أعماله و كثفوا من اجتماعاتهم و لقاءاتهم السرية.

كما طالب المناضلون بالإفراج عن المعتقلين وخاصة منهم بورقيبة الذي لا يزال في سجن سان نيكولا بمدينة مرسيليا.

وفي ظل التوتر العالمي واحتلال جيوش المحور لفرنسا رأى قادة الحزب أن الوقت قد حان لأن يعلنوا بطلان الحماية وأن ينادوا بالاستقلال وفي 20 جوان 1940 تقدم وفد برئاسة الدكتور الحبيب ثامر بعريضة إلى البلاط يطالب فيها حكومة البـــــــاي (أحمد باي الثاني) بإعلان سقوط الحماية و إطلاق سراح الزعماء المعتقلين في فرنسا فأعتقلت السلطات الفرنسية ذلك الوفد قبل مقابلة الباي.

تواصلت الاضطرابات والمصادمات الدامية احتجاجا على وضعية المعتقلين وفي 19 جويلية 1941 وقع اعتقال الدكتور الحبيب ثامر وجماعته.

لم يتوقف النشاط الحزبي أمام المحن فكلما اعتقلت جماعة قامت مكانها أخرى بقيادة الحزب وتكونت عدة دواوين ولم يتعطل العمل السياسي وهكذا كان الحال في جهة الأعراض التي لم توقف نشاطها بل بقيت دائما باتصال بما يحدث في العاصمة.

---

183) الشايبي (محمد لطفي): **أضواء حول...,مرجع سابق**، ص 328.

CHAIBI (Med. Lotfi) : Préleminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la région de l'Aradh (1952-1954). In **Rawafid,** n°2 , 1996, pp.131 ._

184) الشريف (محمد الهادي):**تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال.** تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، الطبعة الثانية، سراس للنشر، 1985، ص 125.

فكانت الأخبار والمناشير تصلان إلى قابس «*عن طريق المناضل التوهامي التركي الذي كان يدرس بصفاقس وكانت تصله هذه المناشير التي تدعو إلى الكفاح وتحديد مواعيد الإضراب والمطالبة بالاستقلال، عن طريق سوسة وكانت تصل إلى سوسة عن طريق تونس ثم يسلمها للصحبي خليفة وتوزع عن طريق مجموعة من الشباب يقومون بتعليقها على حيطان البلدة*»[186]. وتذكر مذكرات الصحبي بن خليفة أن من المكلفين بهذا العمل الساسي بوعزيزة وإبراهيم بن منصور وعبد الله الطرابلسي ومحمد النفوسي والمكلفون بتوزيع المناشير عبد القادر بوخريص ومحمد غليس ومحمد الشناوي. كما كان الطيب شريف حسب رواية الطيب بن بلقاسم ناجح يبعث بتلك المناشير والأخبار إلى جهة الحامة.

و تبقى المعلومات غير كافية لمعرفة نشاط أهالي جارة و بقية جهات الأعراض ولكن ما نلاحظه أن الفترة التي تلت أحداث 9 أفريل 1938 لم تعرف فيها الحركة الوطنية نشاطا علنيا بل كل ما وقع كان ضمن السرية التامة مخافة عودة الاضطهاد. و تواصل هذا العمل السري إلى حدود الحرب العالمية الثانية التي أثرت تأثيرا كبيرا في الأهالي و في نشاطهم الوطني فكيف كان ذلك ؟

186) خليفة (الصحبي): كراسات...، مصدر سابق، ص 4.

الفصل الثالث:

تداعيات الحرب العالمية الثانية
و تأثيرها في النشاط الوطني الدستوري بجهة الأعراض

1. تأثير الحرب العالمية الثانية في النشاط الحزبي بجهة الأعراض

أ.تأثير الحرب في جهة الأعراض:

أثرت الحرب العالمية الثانية في جهة الأعراض منذ أن أصبحت مجالا للتطاحن والصراع بين قوات المحور وقوات الحلفاء سنة 1942، فما إن تمركز الألمان بالجهة حتى انتشرت دعايتهم بين الأهالي فهذه الدعاية التي تبين بأن الألمان هم الذين سينقذون البلاد من الاحتلال الفرنسي« *تغلغلت هذه التصريحات الألمانية في أذهان الشعب عبر الراديو وعبر المناشير المكتوبة وعبر الخطب التي كان الألمان يلقونها على الأهالي إضافة إلى الدروس التي كان يقدمها الإيطاليون إلى الطلبة التونسيين فأثرت هذه الدعاية على الأهالي*»[187].

و ازدادت شعبية الألمان في تلك الفترة أكثر من الإيطاليين نظرا إلى إنضباطهم واحترامهم للأهالي فتعاطفوا معهم و أرادوا لهم الانتصار على الحلفاء وعلى فرنسا عدوة الشعب التونسي[188]. وهذا التعاطف يرجع لأسباب تاريخية زمن الحرب العالمية الأولى وتحالف ألمانيا مع تركيا ودعايتها لصالح المسلمين ومعاداتها لليهود والصهيونية.

وذلك التعاطف يعبر عن رد فعل عفوي منساق مع المثل المتداول "عدو عدوك صديقك" ويبرز كذلك « *محدودية الثقافة السياسية وعفوية التعبير لدى الأوساط الشعبية*»[189].

---

187) Khaled (Ahmed) : **Documents secrets du 2ème bureau**, Tunisie Maghreb, dans la conjoncture du pré-guerre 1937-1940.Tunis, Société Tunisienne de diffusion,1983,pp : 558-561-605

188) شهادة الطيب بن بلقاسم ناجح: **مصدر سابق.**

189) منصر (عدنان): حول مسألة تعاطف التونسيين مع المحور أثناء الحرب العالمية الثانية، في **روافد**، عدد 3، 1997، ص 92.

أصبح الأهالي يتعاونون مع قوات المحور سواء عن *طريق «تقديم اليد العاملة أو عن طريق الانضمام إلى الجيش الألماني»* [190]. ويؤكد على صحة تلك الفكرة أن« *أحد مواطني المدينة قتل من طرف جندرمة تونسيين بأمر من المراقب المدني لأنه كان يرتدي بدلة عسكرية لجيوش المحور* » [191].

كان أعوان الإدارة الفرنسية يناهضون موقف الأوساط الشعبية إذ كان« *القايد رحومة بلهيبة والمراقب المدني ينادیان إلى مساعدة جيوش الحلفاء والتعاون مع "الديڤوليين" فكان القايد يتعهد الأهالي الذين تعاونوا مع قوات المحور ويتوعدهم* »[192].

وكان هؤلاء يقومون بدعاية أيضا ضد الألمان والإيطاليين ويتهمونهم بالاعتداء على الأهالي وعلى أملاكهم إذ كانوا يرفعون أبواب المنازل التي تعرضت للقصف الجوي ويتسلطون على المواشي والمنتجات الزراعية[193].

إلا أن ما يتحدث عنه الأهالي يكذب هذه الدعاية ويؤكد « *أن الألمان كانوا متحضرين وكانوا ينبهون السكان إلى المواقع الحربية الخطيرة*» [194] و « *إنما الإيطاليون بدوا لهم في مظهر الشراسة والنهب وسوء الأخلاق* وكانوا يقومون بالاستيلاء على ثروات الأهالي من حيوانات ومزارع» [195].

و يرجع هذا الكره للإيطاليين إلى مناهضتهم للغزو الإيطالي على طرابلس 1911 والى حملة إيطاليا على أثيوبيا وأطماعها في تونس.

---

190) شهادة الطيب بن بلقاسم...، **مصدر سابق.**

191) بوزيد (الأمجد): بعض المواقف السياسية والنتائج للحرب العالمية الثانية بقابس، في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية**، عدد6، فيفري 1987، ص 29.

192) **المرجع السابق**، ص 30.

193) **نفس المرجع**، ص،30-31.

194) شهادة الطيب بن بلقاسم...، **مصدر سابق.**

195) **المصدر السابق.**

كان موقف الإدارة الفرنسية يتضارب مع موقف الأوساط الشعبية بقابس وذلك التضارب كان ينبني على أعمال التعسف التي كانت الإدارة تخاطب بها الأهالي[196].

وتؤكد الوثائق أن القايد والمراقب المدني كانا يشجعان يهود المدينة الذين كانوا يحتكرون النشاط التجاري على عدم تقديم التموينات الغذائية اللازمة للأهالي حتى يغيروا موقفهم من الحرب[197].

تواصل الصراع بين قوات الحلفاء وقوات المحور دعائيا وعسكريا وكانت جهة الأعراض مسرحا لبعض المعارك الجوية والبرية التي كانت تشنها طائرات الحلفاء على الجهة مخبأ جيوش المحور حيث تمركزوا على خط مارث و أمام هذه الوضعيـــة « *أمرت القوات الإيطالية سكان مدينة قابس بمغادرة تلك القرية يوم 20 فيفري سنة 1943* »[198].

وتؤكد الروايات الشعبية أن أغلبية الأهالي غادروا منازلهم وسمّي ذلك العام بعام "الهربة" فاتخذ بعضهم الواحة التي تحيط بالمدينة ملجأ من الخطر بينما انتقل آخرون إلى المناطق المجاورة لقابس كصبيح والقنيطرة والحامة واتجهوا أيضا إلى أضرحة الأولياء الصالحين سيدي مهذب وسيدي سلام[199].

وهذا الهروب لا يفسر كنتيجة لأزمة لأن هذه الأزمة ستتجلى فيما بعد (1944-1947) بل شهدت جهة الأعراض نوعا من الانتعاشة حيث نشطت التجارة وكثرت الأموال[200].

---

196) بوزيد (الأمجد): بعض المواقف السياسية...،**المرجع السابق**، ص 29-30.

197) **المرجع السابق**، ص30.

198) **نفس المرجع** ، ص31.

199) تقرير صالح قيزة: **مصدر سابق**.

200) التركي (عروسية): ذكريات عن تاريخ قابس المعاصر للمناضل علي الساحلي، في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية**، عدد 2، ديسمبر 1985 ،ص 34-35.

بل إنّ الظرفية السياسية والغارات الجوية هما اللذان حتما هذا الرحيل الذي فتح المجال أمام انتشار الفوضى والسرقات نتيجة انعدام الأمن إذ حتى المحافظون وأعوان الإدارة شاركوا بقية السكان رحيلهم وفقدت الجهة العديد من أبنائها وكان أكثر المتضررين هم الذين أصيبوا نتيجة انفجار الغام حربية وقذائف جوية[201].

وتؤكد بعض الوثائق «*أن عدد المتوفين بلغ 40 نسمة في جوان 1943 وكان الأطفال يمثلون ثلث الذين لقوا حتفهم وارتفع عدد المجروحين من 24 جريحا أواخر ماي 1943 إلى 277 جريحا أواخر جوان 43 وبذلك يكون عدد المجروحين يتعدى عشر السكان الذين كان عددهم يقارب 20809 ساكن سنة 1943*»[202].

وعدد المصابين لم يتوقف عند انتهاء الحرب بل ازداد نتيجة عدم إزالة الألغام التي زرعت في الجهة من ذلك محمد بن عبد الله انفجر عليه لغم بوذرف يوم 17 ماي سنة 1951 وبالإضافة إلى الخسائر البشرية خلفت الحرب خسائر مادية نتيجة انفجار الألغام على بعض الحيوانات وقصف المزارع والمنازل والدكاكين[203].

فكيف كان النشاط الحزبي في ظل هذه الأحداث وما هو دور أعضاء الشعب؟ وكيف أثرت الحرب في العمل السياسي؟

لقد شهدت البلاد التونسية زمن الحرب العالمية الثانية حدثا هاما زاد من وطنية الشعب وهو اعتلاء محمد المنصف باي للعرش في 19 جوان 1942 فبعث الحيوية والحماس في أعضاء الحركة الوطنية فقد كان معروفا بمناصرته للحزب الذي كان عضـــوا فيه منذ سنة 1922 وكانت مواقفه مشحونة بحب الوطن والدفاع عن الشعب. قام المنصف باي يوم 4 أوت 1942 بإرسال عريضة للحكومة الفرنسية، حكومة "فيشي" آنذاك مطالبـــا

201) بوزيد (الأمجد): بعض المواقف السياسية...، **مرجع سابق**، ص 32.

202) **المرجع السابق**، ص32.

203) **نفس المرجع**، ص 33.

فيها باحترام السيادة التونسية بإلغاء اتفاقية المرسى وتحقيق رغبات الشعب كما طالب أيضا بإطلاق سراح المعتقلين ولكن مطلبه لم يتحقق.

في شهر نوفمبر 1942 نزلت جيوش المحور في البلاد التونسية و« *كانت السجون مكتظة بالوطنيين ورأى هؤلاء أن الوقت مناسب للعودة إلى نشاطهم*»[204] فقاموا بثورة داخل السجن المدني بمنطقة تونس أدت إلى فتح أبوابه ولكنهم اصطدموا بوجود الحراسة التي أطلقت عليهم النار فجرح العديد منهم و« *قتل 4 أشخاص كان من بينهم اثنان من أبناء الأعراض وهما مفتاح سعد الله ومفتاح فرحات شهر "موڤو" يوم 14 نوفمبر 1942*»[205]. فزاد المنصف باي في ضغطه على المقيم العام بياراستفا (.Esteva (P لإطلاق سراح المعتقلين.

فكانت تلك الحادثة إلى جانب ضغوطات المنصف باي وسيطرة قوات المحور على أغلب مناطق البلاد السبب الرئيسي في جعل السلطات الفرنسية تطلق سراح جميع المعتقلين الدستوريين يوم 1 ديسمبر 1942.

ب. انتعاشة الحركة الحزبية

في ظل هذه الظروف السياسية الجديدة شهدت الحركة الدستورية انتعاشة وذلك من نوفمبر 1942 إلى بداية ماي 1943 بقيادة الدكتور الحبيب ثامر «*كما انضم لإدارة الحزب جلولي فارس وكانت اجتماعات الديوان السياسي غالبا ما تعقد في بيته بالمدرسة الصادقية وقام الحزب بإصدار جريدة "إفريقيا الفتاة" التي كانت لجلولي فارس المساهمة الفعالة في إدارتها مع الدكتور الحبيب ثامر وفي تحريرها*» [206].

ونظم الحزب الدعاية لنشر الوعي القومي والدعوة لضرورة مواصلة الكفاح فصدرت التعليمات أواخر سنة 1942 بفتح النوادي وتأسيس الشعب من جديد«*فوقع*

204) ثامر (الحبيب): **هذه تونس.** تقديم الرشيد إدريس، مراجعة و تحقيق حمادي الساحلي.بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ص 163.

205) الشابي (محمد لطفي): أضواء حول مسيرة المناضل الطاهر دعيب...،**مرجع سابق**، ص 328-329.

206) الساحلي (حمادي): إحياء ذكرى المناضل جلولي فارس...، **مرجع سابق**، ص 16.

تجديد هيئة جارة برئاسة صالح بن مصطفى وعبد العزيز المؤدب كاتب عامّا وحسين بن عمر أمين مال و الأعضاء الهادي بن الحسين المغربي و امحمد بن الصغير العزوزي ومحمد بن حسن والهادي المؤدب والنجار بعير» [207]. و هذا ما يؤكده تقرير صالح قيزة إذ يذكر أن هؤلاء الأعضاء أتخذوا من زاوية سيدي بوعلي مقرا للشعبة [208] وكان عمل النوادي المحافظة على الأمين العام و التضامن مع الأهالي إذ كان أعضاء الهيئة الجديدة « *يحملون شعار الهلال الأحمر يقومون مقام الشرطة ويجمعون الخبز من المخابز وبعض الخضر ويوزعونها على المصابين والمتضررين»* [209].

وتأسست في تلك الفترة أيضا فرع الهلال الأحمر في أغلب جهات الأعراض مثل المطوية والحامة وكان الألمان يتقربون إلى أعضاء الهيئة الدستورية لكسب عطفهم *«بتزويدهم بجريدة "أفريقيا الفتاة" نظرا لتعطل وصول الجرائد وأخبار العاصمة زمن الحرب»*[210].

أما بخصوص شعبة المنزل فإنه لم يقع تجديدها زمن الانتعاشة لأن « *أغلب أعضاء الهيئة بقوا في المنفى رغم حالة الانفراج التي شملت المعتقلين في ديسمبر 1942 فهذا الانفراج لم يشمل الطاهر دبية ومجموعة ممثلي شعبة المنزل فقد أحيلوا إلى المحكمة العسكرية بصفاقس بتهمة التعامل مع جيش المحور وصدرت في شأنهم أحكام متفاوتة»* [211] والبعض الآخر خرج من دياره ونذكر مثلا الصحبي خليفة العنصر البارز داخل الشعبة الذي *«ذهب إلى مطماطة لان المراقب المدني قطع عليه تموين دكانه قائلا له "لا نقدم ذلك إلا لأصدقائنا" ويقصد المتحالفين معهم مثل*

207) الغنوشي (عبد الله): **مذكرات مناضل...، مصدر سابق**، ص 12.

208) تقرير صالح قيزة...، **مصدر سابق**.

209) الغنوشي (عبد الله): **مذكرات مناضل...، مصدر سابق**، ص 13.

210) تقرير صالح قيزة...، **مصدر سابق**.

211) التركي (عروسية): **ذكريات عن تاريخ قابس المعاصر**.في مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس، عدد 2، ديسمبر 1985، ص 34-55.

اليهود»[212]. وتواصلت مسالة التعاطف مع الألمان في عقول الأوساط الشعبية ودستوري الجهة إلى أن تكثفت أوامر الحبيب بورقيبة بضرورة نشر الوعي السياسي وضرورة إقناع الأهالي بعدم التعاطف مع قوات المحور وكان ذلك منذ الرسالة التي بعثها إلى الدكتور الحبيب ثامر بتاريخ 8 أوت 1942 من سجن "سان نيكولا" بمرسيليا مشيرا فيها ومؤكدا« على وجوب التعاون مع الحلفاء ومساندتهم و"يجب أن يكون الدعم لا مشروطا" مؤكدا بان ألمانيا لن تربح الحرب" *بحيث يجب أن لا يجد الشعب التونسي نفسه وخصوصا جناحه الفاعل الحزب الجديد عند نهاية الحرب مع الفريق الخاسر*" وطلب من الحبيب ثامر "*عليك أن تعطي الأمر للمناضلين على عاتقي وبإمضائي إن لزم الأمر أن يدخلوا في علاقة مع الفرنسيين الديغوليين بتونس بغية توحيد عملنا السري مع عملهم إن أمكن مع ترك مسالة استقلالنا جانبا إلى ما بعد الحرب*" » [213].

كثف الحزب الدستوري الجديد جهوده مليبا أوامر الزعيم بورقيبة محاولا إحداث استفاقة في وعي هذه الفئات الشعبية وذلك «*تحت تأثير أساليب الاتصال المباشر*» [214].

وفي أواخر جانفي 1943 قام الدكتور الحبيب ثامر بزيارة شعب الساحل والجنوب[215] « *فاستقبل أهالي جهة الأعراض وخاصة أهالي الحامة هذا القائد صحبة رفيقه محمود شرشور وإبراهيم عبد الله فرحب بهم رئيس الشعبة المناضل الطاهر دعيب في بطحاء الجامع حيث علا الهتاف بحياة الملك والحزب ورجاله*».[216]

---

212) خليفة (الصحبي): **كراسات...، مصدر سابق**، ص 5.

213) بوذينة (محمد): **الحرب العالمية الثانية بتونس 8 نوفمبر 1948 - 13 ماي 1948**. تونس، منشورات محمد بوذينة، الحمامات، 1997، ص من 163 إلى 166.

214) المنصر (عدنان): حول مسألة تعاطف التونسيين مع المحور...،**مرجع سابق**، ص 105.

215) **إفريقيا الفتاة** : 3 فيفري 1943. حياة الحزب. الزعيم ثامر رئيس الحزب يزور شعب الساحل و الجنوب.

216) الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول ...، **مرجع سابق**، ص 329.

عبّر الدكتور الحبيب ثامر عن « *ابتهاجه الكبير بأهالي الحامة وتعلقهم بحزبهم ثم أسند الكلمة إلى المناضل محمود شرشور الذي استهلها برثاء الشهيدين مفتاح فرحات ومفتاح سعد الله ابني الحامة الكرام اللذين استشهدا بواقعة 14 نوفمبر 1942 بالسجن المدني بتونس ثم أخذ الكلمة السيد إبراهيم عبد الله فأطنب القول في أطوار الكفاح وحث الناس على مواصلة العمل حتى تصل بلادنا إلى ما تصبو إليه من آمال* » [217].

وبعد انتهاء ذلك الاجتماع اجتمع الدكتور الحبيب ثامر ومحمود شرشور وإبراهيم عبد الله « *عند علي حضر والتحق بهم الصحبي خليفة من المنزل وكان الحوار حول عدم التعاون مع قوات المحور* »[218] وأن « *يتركوا الحزازيات والبغضاء ويلتفوا جميعا تحت راية الحزب* » [219].

كما قام الحبيب ثامر بزيارة إلى المطوية حيث استقبل الأهالي بكل حماس وأشرف على مؤتمر الشعبة [220] فمثلت هذه الزيارة « *دفعا معنويا للوطنيين فحركت نشاطهم وجددت عزمهم وجعلتهم يتحدون الظروف القاسية التي يعانون منها* »[221] وهذا ما بينته « *العريضة التي رفعها مناضلو الحامة تحت إشراف المناضل الطاهر دعيب إلى الدكتور محمود الماطري بتاريخ 25 فيفري 1943 يشكون حالهم واصفين تجاوزات عامل الأعراض الذي "أباح لنفسه أكل حقوق الناس من فقراء ومساكين والذين هم تحت رعايته" طالبين من الملك وضع حد لهذا الظلم والاستبداد* » [222].

وتواصلت الاحتجاجات على الوضع الذي تعيشه جهة الأعراض بسبب تجاوزات ممثلي السلطة الفرنسية « *فحررت عريضة أخرى بتاريخ مارس 1943 رفعها سكان قابس إلى الباي و أمضاها 355 شخصا احتجاجا حادا على إدارة الفرنسيين للتموين*

217) **المرجع السابق**، ص 330.

218) خليفة (الصحبي): **كراسات...**، **مصدر سابق**، ص 5.

219) الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول ...، **مرجع سابق**، ص 331.

220) **إفريقيا الفتاة: مصدر سابق.**

221) الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول...، **مرجع السابق**، ص 330.

222) **الأرشيف الوطني التونسي**: سلسلة أ ، صندوق 130 ، ملف رحومة بن أحمد بلهيبة.

وللحماية من أخطار القصف»[223].

يمكن أن نفسر ردة فعل الإدارة الفرنسية وممثليها بموقف الأهالي المتعاطف مع قوات المحور وعدم اقتناعهم بعد بضرورة التعاون مع الحلفاء ومن هذا المنطلق نتساءل عن مدى إقناع الدكتور الحبيب ثامر لمناضلي جهة الأعراض بالابتعاد عن قوات المحور وعدم التعامل معها؟

وهل نجح في إيصال أوامر الزعيم الحبيب بورقيبة الملحة على دعم الحلفاء؟

وهذه التساؤلات ترد عليها الأحداث التي تواصلت فيما بعد ومنها « *إشراف الطاهر دعيب على الاجتماعات التي تبادر بها قوات المحور*»[224]. في إطار حملتها الدعائيّة « *ويقوم بها خبراء عسكريون إيطاليون يتكلمون اللغة العربية*» [225] و« *مغادرته الحامة إثر سقوطها في أيدي الحلفاء يوم 29 مارس 1943 مع فلول قوات المحور المتقهقرة نحو الساحل والمتجهة نحو العاصمة تونس خشية أن يعدم من قبل القوات الفرنسية وبخاصة الإدارة الجهوية وذلك بتهمة التعاون مع العدو*»[226].

وإثر سقوط البلاد في أيدي الحلفاء يوم 29 مارس 1943 « *أرسلت قوات المحور قبل مغادرتها الحامة ضابطا ألمانيا قدم قائمة تضم بعض الأسماء من الدستوريين المطلوبين والمهددين بالإعدام من قبل السلطة الفرنسية لذا رافق كل من الطيب بن بلقاسم وعلي فارس ومحمد البدوي المرزوقي والطاهر دعيب ومحمد الاعتر قوات المحور إلى تونس العاصمة واختبأ الطاهر دعيب هناك عند شقيقه*

223) **وثائق الإقامة العامة:** بكرة 189، ص 319.

224) شهادة المناضل بوبكر عزيز: المسجلة بتونس 26 لفريل 2003 والمحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

225) شهادة الطيب بن بلقاسم ناجح: **مصدر سابق.**

226) الشابي (محمد لطفي): أضواء حول...، **مرجع سابق**، ص 232.

العامل بشركة "الترامواي"» [227] *« ولم تتمكن القوات الفرنسية من إلقاء القبض عليه وعلى رفاقه الذين بقوا مختبئين طوال سنة 1944 بالعاصمة»*[228].

فتلت إذا فترة انتعاش الحركة الحزبية، التي دامت خلال الحرب العالمية الثانية، فترة قمع و اضطهاد، إثر انتهائها، من أجل خضوع أغلب الدستوريين للدعاية الفاشية و الألمانية فتتالت الاعتقالات و المحاكمات التي لم يفلت منها مناضلو الأعراض.

2. عودة المحن وتعسف السلطات الفرنسية بعد انتصار الحلفاء:

أ. تتبع المساندين لقوات المحور:

منذ هزيمة قوات المحور واحتلال جيوش الحلفاء لتونس عرفت البلاد مرحلة من التعسف والاضطهاد رأت فيها فرنسا مرحلة لتصفية الحسابات و« *إزالة ما علق في أذهان التونسيين من أوهام التحرر و إعادة صورة فرنسا مثلما كانت قبل هزيمة 1940*» [229] واعتقال الآلاف من الوطنيين بتهمة التعامل مع الألمان فانتشرت المحاكامات وصدر« *في فترة وجيزة مائة حكم بالإعدام خمسمائة حكم بالسجن*»[230] بالإضافة إلى الغرامات المالية والخطايا الثقيلة.

بادرت سلطات الحماية بخلع المنصف باي بتهمة التعاون مع قوات المحور ووقع نفيه إلى بلدة الأغواط بجنوب الجزائر رغم أنه اتّخذ موقف الحياد بل لم يكن بجانب المحور إذ رفض توسيم كبار ضباطه بوسام الافتخار التونسي.

تم الأمر بإيقاف الزعماء الذين أطلقت سراحهم دول المحور في 7 ماي 1943 «*ومن بينهم المناضل المطوي محمد صالح جراد (شهر بوجناح)*»[231].

---

227) **المرجع السابق**، ص 234 .

228) شهادة الطيب بن بلقاسم ناجح: **مصدر سابق**.

229) المنصر (عدنان): حول مسألة تعاطف التونسيين مع المحور...، **مرجع سابق**، ص 105.

230) Bessis (Juliette): Sur Moncef bey et le Moncefisme la Tunisie de 1942 à 1948 .In **Maghreb, Questions d'histoire** . Paris, l'Harmattan, 2003, pp.135 à 137.

231) **الدستور الجديد في مواجهة المحنة الثانية، وثائق عدد 9**، وزارة الإعلام.1983، ص 128.

وتعرض أهالي الحامة أيضا إلى قمع سلطات الحماية فعذب الكثير« *ومنهم عمار خضير واعدم حوالي 6 أشخاص ولم يسلم الأعيان والعدول الذين تعرضوا للإيقاف بتهمة التعامل مع الألمان وشهدت البلاد طول صائفة 1943 حملة ظلم واستياء راح ضحيتها العديد من الأبرياء* »[232]. إلا أن الحضور الألماني الإيطالي بالرغم من أنه كلف الأهالي العديد من الأرواح والكثير من التعذيب فقد « *أكسبهم عدد كبير من الأسلحة والذخيرة التي وقع تخزينها والتخطيط لاستعمالها في الوقت المناسب* » [233].

كما تعرض الأستاذ الطاهر دبية للاعتقال و الابتعاد بتهمة التعامل مع الألمان فأبعد إلى « *بلدة تطاوين إثر إنتصار الحلفاء (ماي 1943) حيث مكث قرابة شهرين*»[234].

وحتى الزعيم بورقيبة لم يكن في منأى من هذا الأمر رغم ما عرف به من مساندة للحلفاء وهذا ما بينته رسالة 8 اوت 1942 للحبيب ثامر حيث حذر من مخاطر التعاطف مع الألمان إلا أن ذلك لم يمنع السلطات الفرنسية من اتهامه بالتعاون مع دول المحور والمطالبة بإيقافه واعتقاله.

وقد أوكل الحزب مهمة إخفاء الزعماء الدستوريين « *إلى شعبة ترنجة التي أدت واجبها على الوجه الأكمل فسخرت عشرات من منخرطيها لحراسة الأنهج ورصدت تحركات أعوان الأمن التي كانت تقتفي أثار المختفين. قام حسين جراد رئيس شعبة ترنجة بإخفاء الزعيم بورقيبة و الهادي نويرة وعلي بلهوان وسليمان بن سليمان ومحمد صالح جراد والتحق بهم بعد ثلاثة أيام صالح بن يوسف وذلك ضمن عائلات من المطوية تقطن بحي ترنجة*»[235]. « *وقضّى بورقيبة قرابة 5 أسابيع مختفيـــــــا*

232) شهادة الطيب بن بلقاسم ناجح: **مصدر سابق.**

233) المناضل عمر السراي: شهادات ضمن وثائق تحمل عنوان **الشاهد على قرن... عمر السراي، نضال...وبطولات.** بدون تاريخ.

234) الشايبي (محمد لطفي): **معطيات حول ....، مرجع سابق،** ص 14 إلى 22.

شهادة إبن المناضل الطاهر دبية الأستاذ العروسي دبية خلال لقاء معه يوم29 مـــــاي 2006.

235) حسن (عبد الحميد): مساهمة أبناء...، **مرجع سابق،** ص 23.

يتنقل بين منازل حي ترنجة متنكرا في زي امرأة وتعرض المنزل الذي يقيم به إلى حملة تفتيش ولكنه نجا منها بحيلة قامت بها صاحبة المنزل سعدية بنت يحيى إذ أجلسته أمام قصعة لغسل الثياب »[236].

تحصل الزعيم الحبيب بورقيبة فيما بعد على حريته بمساعدة القنصل الأمريكي هوكردوليليّل (Houker DOOLIHLE) فغادر مخبأ الأبطال الذين ما انفكوا يخدمون الحزب وزعماءه.

ب . مواصلة النشاط الحزبي بصفة سرية:

رغم شدة القمع الذي سلط على التونسيين بين 1943 و 1944 وتشديد الخناق على الحزب ومراقبة زعمائه المتبقين فإن الحركة الوطنية تواصلت بفضل نشاط القادة السري فعملوا على جمع شتات الشعب حول الحزب مقاومين تيار اليأس ومحافظين على الوعي القومي الذي كان قد زرعه الحزب بجهود جبارة في السنوات الأخيرة[237].

لم يتمكن الحزب من مواصلة الاتصال المباشر بالشعب فالرقابة الممتدة على الزعماء عطلت العمل وبقي نشاطا سريا وهذا ما يتجسد خاصة في قرار الديوان السياسي بعث زعيمه الحبيب بورقيبة إلى جهة قابس بداية أكتوبر 1944 فأرسل الديوان السياسي رسالة بتاريخ 20 سبتمبر 1944 إلى محمد بن النفطي بالغايب، وهو عضو حزبي بشعبة جارة، تعلمه بزيارة الحبيب بورقيبة.

وبهذا الخصوص وقع تجمع اثر صلاة الجمعة يوم 29 سبتمبر 1944 أمام الجامع الكبير وأمر محمد بن النفطي بالغايب أعضاء شعب الجهة بالإجتماع على الساعة التاسعة والنصف بمنزل الحاج الحبيب المؤدب وساعة اللقاء لم يكن عدد الدستوريين كبيرا باستثناء بعض أعضاء الشعب من بينهم محمد بن النفوسي بن عبد الله (رئيس الجامعة الدستورية بقابس أمين سابق للسوق المركزية والجيلاني بن الصغير بن العزوزي(رئيس مساعد) والجليدي بن العزوزي(أمين مال) ومحمد النفطي بالغايب

236) **المرجع السابق**، ص 24.

237) ثامر (الحبيب): **هذه تونس...، مرجع سابق**، ص167.

وإبراهيم بن محمد بالغايب (عضو شعبة) والحاج الحبيب بن محمد صالح المؤدب والسنوسي بن الحاج محمد بن الجاني وعلي بن الحاج بن إبراهيم بن فـــلاح وعبد العزيز بن الكيلاني بن الصادق بن رجب وإبراهيم بن أحمد ثابت والطاهر دبية الذي لم يحضر الاجتماع بسبب المرض ولكن تسربت الأحاديث إلى الإقامة العامة فمنعت الحبيب بورقيبة من زيارة جهة قابس وتمّ توقيفه في المحرس.

وفي إطار العمل السري أيضا بعث البحري بن أحمد الشين من قبل شعبة الجهة إلى تونس ثم عاد يـــوم 5 أكتوبر 1944 وبقيت الإقامة العامة تجـــهل مهمته و سبب ذهابه[238].

وأمام هذه الانتكاسة تكثفت الجهود للمطالبة بالاستقلال وضرورة ارجاع المنصف باي. فما حصل لهذا الباي المحبوب « *في جوان 1942 أفرز صحوة وطنية داخل البلاد*» [239].

وتمكّن « *الطاهر دعيب بحكم تواجده بالعاصمة من مساندة قرارات هذا المؤتمر*»[240] التي لم تغير الأمر بل زادته تعقيدا فتعكرت الأوضاع و ازداد التعسف والاضطهاد لقادة الحزب وفرضت السلطات الفرنسية على الزعيم الحبيب بورقيبة إقامة جبرية بالعاصمة مانعة إياه من نشر دعاية الحزب في البلاد ولكنّ مطلب الاستقلال الذاتي وإرجاع المنصف باي لعرشه وجد صدى كبيرا ومساندة فعّالة من قبل الشعب وهذا ما تجسد عند زيارة المقيم الجنرال ماست "Mast" إلى الجنوب التونسي في أواخر شهر ماي 1945 [241].

---

238) **المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي (SHAT):** carton 2 H 214، تقرير الوكيل دوهاميل (Duhamel) آمر الفصيل حول نشاط الحزب الدستوري في جهة قـــابس (7 أكتوبر 1944).

239) **Ganiage (J) : Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours.** Edition Fayard, Janvier 1994, p.497.

240) الشابي (محمد لطفي): **أضواء حول ...، مرجع سابق**، ص333.

241) **النهضة** 26،27،29 ماي 1945. رحلة المقيم إلى الجنوب التونسي.

La Dépêche Tunisienne, 27 Mai 1945. c'est la visite de Gabès et d'El Hamma que le Générale Mast a consacré la journée de sa midi.

Le Petit Matin, 27 Mai 1945. Le Général Mast a visité hier Gabès et sa région.

لقد كثّف أعضاء شعبة الحامة الجهود لإفشال الزيارة « *فذهبوا إلى زاوية سيدي بن عيسى المتواجدة في المنطقة وسرقوا منها العلامات وكتبوا عريضتين الأولى بها مطلب إرجاع المنصف باي إلى الحكم والثانية تحتوي على المطالبة بالاستقلال وقامت بهذا العمل الشبيبة الحزبية وكان من بينهم الطيب بن بلقاسم*»[242]. فخالف مناضلو الحامة «*تعليمات الخليفة الذي دعا إلى إخراج علامات الزينة والاحتفال بقدوم الجنرال ماست (Mast)*»[243].

وانقلب الاحتفال إلى احتجاج ورفعت العريضة أمام خيمة الجنرال التي نصبت له في بطحاء، القرية واثر انتهاء هذه الزيارة وقع القبض على الطاهر دعيب وعلي فارس ومحمد الاعتر و أحيلت قضيتهم إلى المحكمة العسكرية بصفاقس فكلّف الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد الأستاذ محمد المقني للدفاع عنهم وتم إطلاق سراحهم بضمان مؤقت[244]. وتواصل عمل الشعب الحزبية بجهة الأعراض وفي كامل البلاد عامة بصفة سرّيّة لأنّ النشاط العلنيّ كان ممنوعا، ممّا جعل الأهالي يتأججون غضبا مستعدين للثورة في أي وقت و هذا ما صرحت به القيادة العليا لجيش الاحتلال في نوفمبر 1944 قائلة: « *يمكن وقوع ثورة أو تمرد في الجريد و حامة قابس*»[245].

3. تصاعد حركة تصفية الاستعمار وتكثيف الجهود للمطالبة بالاستقلال:

أ.تحرك المناضلين وانتعاشة الحركة الوطنية:

لقد شهد العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تحولات هامة منها بروز قوى جديدة على الساحة السياسية والاقتصادية على غرار الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي تبحث عن مناطق نفوذ سياسي في العالم على حساب المستعمرات

242) شهادة المناضل الطيب بن بلقاسم...، **مصدر سابق.**

243) الشابي (محمد لطفي): **أضواء حول ...، مرجع سابق**، ص333 .

244) **المرجع السابق**، ص 333.

245) مصلحة الجيش البري **(SHAT) carton 214 dossier : le Néo-Destour (programme, déclaration, ligne de conduite (1943-1953).**

الأوروبية القديمة[246]. وهذه القوى السياسية الجديدة أعلنت مبادئ جديدة، كحـــــــق الشعوب في تقرير مصيرها ومكافحة الإمبريالية والاستعمار واحترام حقوق الإنسان والشعوب، أقرّها ميثاق الأمم المتحدة.

وتحصلت العديد من دول العالم العربي بعد الحرب على استقلالها مثل ليبيا التي تخلصت من الاستعمار الإيطالي في حين « *بقيت فرنسا البلد الوحيد المتمسك بنظام الحماية في صيغة استعمارية تقليدية* »[247] بالرغم من وجود أصوات بعض التيارات السياسية منذ 1943 تلفت انتباه الرأي العام الفرنسي إلى انتهاء عهد السيطرة الاستعمارية[248].

كما أدت ظروف ما بعد الحرب إلى ميلاد جامعة الدول العربية سنة 1945 التي بعثت في الشعوب العربية إحساسا بالوحدة والقوة فانطلقت شعوب مستعمرات فرنسا ومن بينها البلاد التونسية تطالب باستقلالها جاعلة الأوضاع الجديدة حجة للدفاع عن قضاياها فازدادت بذلك الحركة الوطنية حيوية من خلال التخطيط للعمل خارج الوطن.

قرر قائد الحزب الحبيب بورقيبة الذهاب إلى الشرق للدعاية للقضية الوطنية وكسب الأنصار لها ومن هنا جاءت كلمته لبقية القادة: «*... أنتم تعلمون أن الرجاء في الاستنجاد بالضمير العالمي والدعم الخارجي أصبح اليوم أقوى من كل وقت مضى حيث برزت منظمة الأمم المتحدة للوجود وتم تأسيس جامعة للدول العربية وغيرت الحرب الأخيرة من سلّم القيم الإنسانية وفكرة التعايش السلمي وإزاء ذلك رأينا من الضروري إيفاء من يخرج من الستار الحديدي المضروب عليها* »[249].

---

246) التركي (عروسية): **المقاومة المسلحة بجهة الأعراض...،مرجع سابق**، ص11.

247) Bourguiba (H):La Tunisie et la France, Paris / M.T.E, 1954 ,page 266.

248) التركي (عروسية): **المقاومة...،مرجع سابق**، ص 29.

249) **لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري 1934-40،1974 بعث أمة .. وبناء دولة**، الوزارة الأولى، تونس، مارس 1974.

غادر الزعيم بورقيبة البلاد يوم 26 مارس 1945 خفية ووصل إلى القاهرة في 16 أفريل من نفس السنة بغية التعريف بالقضية التونسية بالشرق العربي.

« وازداد نشاط الحزب داخل البلاد من خلال بعث المنظمات القومية من اجل تكثيف وزيادة الوعي لدى أفراد الشعب فانبعثت لجان الدعاية الحزبية لتثمين العمل الحزبي»[250].

وتكاثف العمل السياسي بجهة الأعراض في تلك الفترة من خلال « *زيارة أعضاء الديوان السياسي أمثال الهادي شاكر والمنجي سليم فقاموا باجتماعات أحيت المناضلين وبعث فيهم الأمل من جديد*»[251].

فتكثفت جهود دستوريي الجهة فإلى جانب نشاطهم الحزبي انخرطوا في النشاط النقابي فكونوا حسبما ذكرته لنا مذكرات الصحبي خليفة –« *في قابس عددا كبيرا من النقابات:*

نقابة الجزارة: محمد غليس كاتبها العام

نقابة الأحذية: الهادي العمراني

لأصحاب المقاهي: الفيتوري الجريدي

نقابة التجارة: صالح الشين

نقابة النجارة: الحسين عزيز

ونلاحظ أن هؤلاء النقابيين هم دستوريّون قبل ذلك يتعاطون العمل الحزبي ويقومون بالعمل النقابي في نفس الوقت فحسب رواية الصحبي خليفة« تواصل التخريب وتوزيع المناشير والمعلقات خاصة أواخر سنة 1947 عند سماع القرار الأممي يوم 29 نوفمبر 1947 الذي ينص على تقسيم فلسطين عبر بعث دولة إسرائيل داخلها»[252].

250) المنياوي (حسين): مشاركة قابس في المسيرة النضالية...، **مرجع سابق**، ص 27-28.

251) **المرجع السابق**، ص28.

252) خليفة (الصحبي): **كراسات مذكرات...،مصدر سابق**، ص 6.

فوجدت هذه القضية تعاطفا كبيرا من أبناء الأعراض الذين سخروا جهودهم لمساعدة إخوانهم الفلسطينيين فنظّم « *إضراب عام بقابس وقع إثره اعتقال العديد من المناضلين منهم الصحبي خليفة و البهلول بيداني وعبد المجيد شمّام والحسين عزيز*»[253]. تم إيقافهم حسب رواية الصحبي خليفة مدة خمسة أيام فتكونت لجنة للدفاع عن فلسطين حسب رواية عبد الله الغنوشي « *تتكون من مصطفى عزيز ولطيف قفراش والفيتوري شقرة وعلي ونان ويونس العمري والهادي الغنوشي وحسين الأمين وجلال الأمين وعبد السلام التواتي (وهو شاب جزائري)*»[254].

كما شهدت الجهة موجة من الهجرة في أوساط الشباب إلى الشرق للتطوع في جيش تحرير فلسطين[255].

و تفيدنا مذكرات الصحبي خليفة بأنه سنة 1948 قام الديوان السياسي بإعلام أعضاء وشعب قابس بزيارة وفد برلماني فرنسي إلى الجهة فتكثفت الاستعدادات والتحضيرات فأقيمت الاجتماعات واعدت اللائحات ورغم المراقبة المشددة التي قامت بها السلطات حتى يمر هذا الوفد بسلام فإن المناضلين عبد الله مراد ومحمد خشريف وعبد السلام النوري و الحسين عزيز والصحبي خليفة والتومي بن أحمد تمكنوا من التسلل عبر الغابات وقابلوا الوفد الفرنسي، وقرأ عليهم المناضل عبد السلام النوري العريضة التي ترفض النفوذ الفرنسي وتطالب بالاستقلال.

و يواصل المناضل الحديث عن مغامرات الدستوريين فيقول:« *ومن الغد تمكن المناضلون أيضا من رسم خطة قام بتنفيذها عبد السلام النوري إذ فتح سيارات الوفد البرلماني ووضع بها كتبا كان قد جاء بها في الليل التوهامي التركي من صفاقس وسلمها للصحبي خليفة... ونجحت الخطة رغم الحراسة المشددة، وفي الغد القي القبض على الصحبي خليفة والحسين عزيز والتومي بن أحمد لمدة 16 يوما والبقية تمكنوا من*

253) **المصدر السابق**، ص 6.

254) الغنوشي (عبد الله) : **مذكرات...، مصدر سابق**، ص 18.

255) المنياوي (حسن): **مشاركة قابس في المسيرة النضالية 1934-1954...،مرجع سابق**، ص27-28.

الاختفاء والفرار من ملاحقة السلطات الفرنسية»[256].

وفي هذا السياق يتجلى لنا بوضوح تواصل النشاط الوطني الحزبي الذي لم يفتر ولم يهدأ في جهة الأعراض فمن خلال المعطيات التي وردت في تقرير عسكريّ للوكيل دوهامل Duhamel يتبين لنا أن فترة مابعد انتصار الحلفاء وما تلاها من ضغوطات واضطهاد، جعلت المناضلين يلتحمون ويتعاونون، فالصراع القديم لم يمنع اتحاد أبناء المنطقة لخدمة الحزب وإنقاذ البلاد إذ نجد أعضاء الهيئات الحزبية(المنزل وجارة) يلتقون ويخططون لهدف واحد.

ب. التوجه بالعمل الحزبي خارج البلاد والمطالبة بالاستقلال (نشاط المناضل جلولي فارس):

خلال الفترة الممتدة بين 1944 و1948 ازدادت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية تأزما وتفشت المجاعة ففتكت بالبلاد فتكثفت خلال تلك الفترة جهود القادة خارج البلاد للنهوض بحالة البلاد التي تزداد تأزما وتدهورا.

فقرر الحزب منذ الحرب العالمية الثانية أن يوجه أنصاره خارج البلاد للمطالبة بحقوقه أمام الضمير العالمي[257] خاصة بعد تأسيس الجامعة العربية سنة 1945.

فذهب الزعيم الحبيب بورقيبة كما ذكرنا سابقا إلى القاهرة للتعريف بالقضية التونسية بالشرق العربي، و إثر تلك الزيارة تأسس مكتب للدعاية لقضية تونس في القاهرة تحت اسم "مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي".

كما كثف المناضل يوسف الرويسي سنة 1946 محاضراته في النوادي القومية بالمشرق وقام الحبيب بورقيبة بالسفر إلى الولايات المتحدة في ديسمبر 1946 للاتصال بالهيئات الرسمية والوفود الدولية في هيئة الأمم المتحدة لعرض القضية.

فتجسّد عمل الحزب الجديد في الخارج «*في خلق عدة مكاتب وبعث العديد من الممثلين له للتعريف بالقضية وللدعاية العامة ضد الاستعمار وضد فرنسا فتواجد هؤلاء الممثلون في عدة عواصم بالخارج نذكر منهم يوسف الرويسي بسوريا، علي بن سالم في*

256) خليفة (الصحبي): **كراسات مذكرات...،مصدر سابق**، ص 6.

257) **لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري...،مرجع سابق.**

ستكهولم، البحري الأدغم في نيويورك ورشيد ادريس في الباكستان والطيب سليم أخ المنجي سليم بالهند»[258]. وفي هذا المجال لا ننسى الدور الكبير الذي قام به ابن الأعراض المناضل جلولي فارس إذ عينه الديوان السياسي ليكون ممثلا للحزب في باريس في آخر نوفمبر 1946 « *فبدأ العمل بتنظيم الشعبة الدستورية التي تكونت منذ سنة 1936 بباريس والتي شهدت حالة ركود أثناء الحرب العالمية الثانية فأخذ يجدد نشاطها عاملا على الرفع من عدد منخرطيها...إلى جانب تأسيس شعبة باريس قام المناضل جلولي فارس بإنشاء عدة شعب في بعض المدن الفرنسية مثل مرسيليا وبوردو وليون وغرونوبل وسعى إلى ربط العلاقات بين الوطنيين التونسيين وإخوانهم الجزائريين والمغاربة لمواصلة الكفاح المشترك من أجل تحرير المغرب العربي من أيدي الاستعمار* » [259].

وكان المناضل جلولي فارس يزور المنصف باي ويطمئن عليه عندما وقع تحويل منفاه إلى مدينة بالجنوب الفرنسي منذ 17 أكتوبر 1945، إذ كان جلولي فارس شديد الاهتمام بقضية الباي متعاطفا معه وهذا ما جعله يخطط ويحاول تهريبه إلى مصر ولكن الخطة فشلت في أخر لحظة. كما قام بتأسيس هيئة جديدة تسمي بـــ " مكتب الإعلام التونسي" بمساعدة عدد من الطلبة الدستوريين ومهمة هذه الهيئة جمع المقالات المتعلقة بالقضية التونسية وتوجيهها إلى إدارة الحزب بتونس بعد تحليلها والتعليق عليها [260].

في جانفي 1947 أصدر جلولي فارس نشرية أسبوعية بعنوان" la Tunisie vous parle" بالتعاون مع الطيب السحباني والبشير بوعلي والحبيب زغندة وعبد الحميد الفقيه وكانت هذه النشريّة توزع على بعض السياسيين الفرنسيين ورجال الفكر والتعليم المهتمين بالقضية التونسية[261].

---

258) ثامر (الحبيب): **هذه تونس...، مرجع سابق**، ص 167.

259) **Mouvement national Tunisienne Quai d'orsay**, Bobine n° 649, Tunisie 1944-1949.

260) الساحلي (حمادي): **إحياء ذكرى المناضل جلولي فارس... مرجع سابق**، ص 20-21.

261) **المصدر السابق**، ص 21-22.

تكثف نشاط هذا المناضل بفرنسا من خلال« *اتصالاته بالأوساط السياسية الفرنسية والاشتراكية واليسارية وبعض البرلمانيين و أنصار حقوق الإنسان بالاشتراك معهم ومع بعض البرلمانيّين البريطانيين في بعث منظمة "مؤتمر الشعوب المضطهدة" أوائل سنة* 1948»[262] وتواصل نشاطه وعمله الحزبي « فشارك بباريس في اجتماع عقدته منظمة "المؤتمر الدولي للشعوب الخاضعة للاستعمار".وقد حضر أيضا هذا الاجتماع فرحات حشاد إذ تحدث جلولي فارس عن القضية التونسية فاضحا السياسة الاستعمارية الفرنسية بتونس[263].

كما مثل جلولي فارس الحزب الحر الدستوري الجديد « *في مؤتمر شعوب أوروبا واسيا وإفريقيا بباريس الذي واكب أشغاله في شهر جوان 1948 ولقد تعرض هذا المؤتمر لمكافحة الاستعمار والامبريالية في العالم*»[264]. وبأمر من الديوان السياسي في نفس السنة قام في نفس الوقت « *بالاتصال بالزعيم الحبيب بورقيبة والعديد من المناضلين التونسيين المتواجدين في مصر* »[265].

فمن خلال ما قام به المناضل جلولي فارس يتبين لنا أهمية نشاط أبناء الأعراض لا فقط في الجهة أو بالعاصمة و إنما خارج أرض الوطن.

ولم تخل جهة الأعراض أيضا في تلك الفترة من مواصلة الكفاح، ويتجلى هنا دور المناضل الأستاذ الطاهر دبية الذي« *انتهز زيارة المقيم العام الجديد جون مونص (Jean Mons) إلى قابس في 30 سبتمبر 1947 لتقديم عريضة باسم سكان قابس. وعين الأستاذ الطاهر دبية والحكيم الشاذلي عبد النبي ضمن الوفد الذي قابل المقيم جون مونص لتسليم العريضة* »[266].

---

262) **نفس المصدر**، ص 22.

263) **Ministère des relations extérieures**, Série Tunisie 1944-1949, Dossier n° 27

264) **المصدر السابق.**

265) الساحلي (حمادي): إحياء ذكرى ...، **مرجع سابق**، ص 23.

266) الشايبي (محمد لطفي): معطيات حول...، **مرجع سابق**، ص 14 الى 22.

لقد مثلت ظرفية مابعد الحرب العالمية الثانية إطارا لعودة النشاط الوطني وخروجه من إطار السرية إلى إطار علني تجسد في النشاط خارج البلاد وفي داخلها، فالشعب أصبح في حالة تأهب وأصبح مطلب الاستقلال في كل الأذهان وهذا ما تم طرحه في المؤتمر الذي انعقد بدار سليم يوم 17 أكتوبر 1948.

ج. انعقاد مؤتمر دار سليم 17 أكتوبر 1948

نظرا إلى غياب قادة الحزب وزعمائه وخاصة منهم الزعيم بورقيبة عن البلاد حصل نوع من التصدع والفتور، فقرر الديوان السياسي القيام بمؤتمر يوم 17 أكتوبر 1948 بدار سليم لإنقاذ الحزب من هذا الفتور ولتجديد أساليب الكفاح، ولقد اجتمع في هذا المؤتمر عدد كبير من الوطنيين من العاصمة ومن كامل جهات البلاد التونسية « *حوالي 150 إلى 200 شخص*»[267] وكان أبناء الأعراض متواجدين إذ حضر هذا المؤتمر كل من التومي بن أحمد والصحبي خليفة[268].

وقد « *أكد ذلك المؤتمر الثقة المطلقة للأمة في الحزب وتمتين الوحدة القومية حول ميثاق الاستقلال وتعزيز خطة الكفاح العليا للمغرب العربي ضمن وحدة الشعوب العربية* »[269] *كما أكد الحاضرون في المؤتمر ثقتهم بزعمائهم الموجودين في الخارج.* « *وكان من ضمن المشاركين في المؤتمر ممثل جهة الأعراض الأستاذ الطاهر دبية الذي أكد ضرورة تدعيم الحزب بالداخل في غياب زعمائه بالخارج...مطالبا بالاستقلال*»[270].

ازداد العمل الحزبي اثر هذا المؤتمر داخل البلاد وخارجها لتجنيد الرأي العام لفائدة القضية التونسية وقضايا المغرب العربي، فانعقدت الاجتماعات والمؤتمرات

---

267) **M.N.T, Quai d'orsy.** Tunisie 44-49 Bobine 595.

268) خليفة (الصحبي):**كراسات...،مصدر سابق.**

269) **لمحة عن تاريخ الحزب الدستوري التونسي 1934-1964. 30 بعث أمة... وبناء دولة**، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، أكتوبر 1964.

270) شهادة ابن المناضل الطاهر دبية الأستاذ العروسي دبية.

بالقاهرة وبغداد والسعودية ولبنان « *ويوم 30 نوفمبر 1948 قدّم المناضل جلولي فارس ملف القضية التونسية إلى الأمم المتحدة* »[271] و بعد ذلك انعقدت الاجتماعات واللقاءات داخل البلاد .

فتدعمت فكرة المطالبة بالاستقلال ورفض هذا الاستعمار نهائيا فبدأ الاستعداد والتخطيط لشنّ المعركة الحاسمة للقضاء على سلطات الحماية.

271) لمحة عن تاريخ الحزب الدستوري التونسي...، مصدر سابق.

الخاتـــــمة

لقد لعبت منطقة الأعراض، رغم بعدها عن المركز ورغم تبرّئها الدائم منه وتوق أهلها المتواصل للاستقلالية والمواجهة، دور فعال بفضل قياداتها المحلية في التنسيق وربط الصلات مع القيادات المركزية للاتحاد والتعاون نحو دحر المستعمر.

فهذه المنطقة الصعبة رغم ما تحمله من أضداد و تناقضات بين أهاليها (صف يوسف وصف شداد) استطاعت أن تنضوي تحت عمل سياسي منظم وكان ذلك منذ تأسيس أول حزب بالبلاد وهو الحزب الحر الدستوري بفضل نازحي الجهة الذين استقروا بالعاصمة ولكنهم لم ينسوا مسقط رأسهم فكان الاتصال دائما وكانت الأخبار تنقل عبرهم لتنشر الفكرة الدستورية التي بدأت تتسرب تدريجيا في أوساط هذه المنطقة النائية.

فزرعت بها بعض الخلايا والهيئات الحزبية التي سرعان ما تقهقرت وتراجعت نظرا إلى الظروف التي شلت نشاط زعماء هذا الحزب وجعلته يتقاعس عن القيام بواجبه أمام نضالات منخرطيه وتضحياتهم وما تعرضوا له من تنكيـــل واضطـــهاد (ما حصل للمطاوى من اعتقالات وعقوبات).

ومن هذا المنطلق التفّ أغلب أهالي الأعراض حول النخبة المثقفة الجديدة التي سعت إلى تكوين حزب جديد فتح أبواب الأمل لمواصلة النضال فكان الاندفاع كبيرا نحو هذا الحزب وهذا ما حاولت بعض الشهادات المكتوبة والشفوية والتحقيقات الميدانية إبرازه وهي شهادات مصدرية اعتمدنا عليها رغم مشقة البحث فيها لأنها في الحقيقة محفوفة ببعض النقص والخلط وذلك نتيجة استنادها إلى الذاكرة، التي تحتاج إلى التمحيص والتثبت بسبب النسيان وما ينجرّ عنه أحيانا من تحريف للأحداث وخلط في التواريخ أحيانا أخرى أو ذكر شخصيات والتغافل عن آخرين وفقا لمصالح ذاتية.

وهذا ما سعينا إليه بطريقة أو بأخرى وفق المتاح ووفق الاجتهاد للتثبت من صحة هذه الشهادات.

فما أفادتنا به مذكرات أبناء الجهة، المناضلين الصحبي خليفة والطاهر دعيب وبلقاسم القناوي وعبد الله الغنوشي والشهادات الشفوية لكل من المناضل والنقابي بوبكر عزيز والطيب بن بلقاسم ناجح إضافة إلى التحقيقات الميدانية مع بعض أبناء المناضلين. أنارت لنا بعض الجوانب الغامضة في مسيرة نشاط أهالي الأعراض زمن الحزب الجديد.

فتلك الشهادات التي تعد مصدرية « *وليست بالعفوية بل هي جديرة باهتمام المؤرخ* »[272] كشفت لنا أهم القيادات المحلية التي انخرطت داخل الحزب الحر الدستوري الجديد وسارعت بتكوين شعب دستورية إلا أنه لوحظ بعض الاختلافات في تواريخ التأسيس من منطقة إلى أخرى ولكن ظل هناك نشاط ومساندة لزعماء الحزب خاصة عند تعرضهم للمحنة الأولى و نفيهم للجنوب العسكري. وهذا الاقتراب في المسافات دعم التواصل واللقاء فازداد الحماس والعمل الحزبي المنظم في أوساط هذه القيادات المحلية سواء أكانت مثقفة أمثال الأستاذ المحامي الطاهر دبية والدكتور الشاذلي عبد النبي وجلولي فارس أو محدودة الثقافة على غرار الصحبي خليفة والطيب بن بلقاسم ناجح والحسين عزيز...

فاختلفت الشرائح الاجتماعية المنخرطة في الحزب وتنوعت فلم يعد حركة بورجوازية تخص طبقة معينة بل اندمجت في صلبه العامة والخاصة.
وبفضل هذه القيادات أصبحت جهة الأعراض محورا معتبرا لنشر الدعاية الحزبية بالمناطق المجاورة وخاصة اقتحام ذلك الجنوب العسكري الذي ظل خاضعا لمراقبة مشددة لم يمنع قيادات الأعراض من اختراقها (مساهمات التومي بن أحمد وعبد الله الغنوشي وعبد الله النوري وغيرهم كثير...)
فمن هذه الزاوية يتراءى لنا نجاح النشاط الدستوري في منطقة الأعراض التي عرفت سابقا بتلقائية نضالها واندفاعها القبلي.

كما نستشف من خلال تلك الشهادات المصدرية تجاوز الأهالي الى حدّ ما في بعض الصراع القديم من أجل خدمة الحزب وتحرير الوطن، فنجدها

تتحد نوعا ما في عدة تظاهرات مثل مظاهرة 9 أفريل 1938 وما أفرزته من تنسيق وتعاون بين مختلف شعب الجهة وترسخ هذا التعاون أيضا زمن النشاط السري (خلال الأربعينيات) الذي حتمته ضغوطات القوات الفرنسية.

و يتبين لنا أن روح التآزر والتعاون والرغبة القوية في دحر الاستعمار كانت أقوى من الصراعات الداخلية.

فقد توفّر من الأسباب ماجعل الفكرة الوطنية ترتقي إلى شكل من أشكال العمل الناضج والدائم. وجعلت النشاط الوطني الدستوري يجد نجاحا وانتشارا كبيرين في هذه المنطقة البعيدة وهذا ماوقع التطرق إليه وتأكيده في هذا البحث بقدر المتاح والمستطاع. ومازال البحث يتطلب تعمّقا أكبر لتسليط الضوء أكثر على هذه القيادات المحلية التي لم تستوف بعدٌ حقها.

278) الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول سيرة المناضل الطاهر دعيب...، مرجع سابق، ص 334.

تراجم الشخصيات الوطنية أصيلة جهة الأعراض

المناضـــل الطاهـــــر دبيـــــة
(1908-1973)

وهو الطاهر دبية بن حميدة دبية مولود في 21 أفريل 1909 (بعض المصادر الأرشيفية تقول انه ولد سنة 1908) بمدينة قابس وتحديدا بجهة المنزل، من عائلة متواضعة.

دخل الكتّاب (بسيدي بن عيسى) ثم التحق بالمدرسة الابتدائية (سيدي بوعلي) بصفة متأخرة إذ كان عمره 9 سنوات ولكنه تميز بذكائه وتفوقه فتحصل على شهادة ختم الدروس الابتدائية سنة 1921 ثم ترشح إلى مناظرة المعهد الصادقي فتفوق وواصل تعليمه هناك حيث تحصل على الشهادة الصادقية سنة 1925 ثم اجتاز امتحان الباكلوريا في معهد كارنو.

عمل في دار الشرع ليحقق مصاريف دراسته والتحق بعدها بجامعة الحقوق بالجزائر وتحصل على الإجازة في الحقوق هناك سنة 1930 وعند عودته إلى بلاده أراد العمل في تونس لكن السلطات الفرنسية منعته من ذلك إذ رأت فيه ميله إلى النشاط السياسي منذ دراسته بالمعهد الصادقي واختلاطه ببعض زعماء الحزب القديم.
أما فيما يخص نشاطه السياسي فقد عرف المناضل الطاهر دبية بانجذابه إلى العمل السياسي بصفة مبكرة إذ كان على اتّصال بزعماء الحزب الدستوري القديم وخاصة محي الدين القليبي ثم انخرط في شعبة شنني التابعة لذلك الحزب والتي كانت تسمّى شعبة النهضة وعند تأسيس الحزب الدستوري الجديد كان من ضمن المشاركين في مؤتمر قصر هلال وكان من المساندين لبورقيبة وجماعته. كما كان له حضور متميز في أشغال المؤتمر الثاني للحزب المنعقد بدار الجزيري بنهج التريبنال.

ترأس سنة 1937 جامعة الأعراض وكان يلقب بزعيم الأعراض كما شارك في أحداث 9 أفريل بجهة قابس حيث وقع تهديده كي لا يقوم بأي تحرك لكنه خطب في الناس محرضا ضد الاستعمار وحاول تنظيم المظاهرة التي وقعت في الجهة.

فتعرض للاضطهاد والاعتقال في فترة المقاومة والصمود من 1939 إلى 1941 وكانت له مواقف مشهودة مع قايد الأعراض حينذاك رحومة بلهيبة الشيء الذي جعله يتعرض للاعتقال والإبعاد.

وهذا ما تؤكده وثيقة تمكنا من الحصول عليها بعث بها الكولونال الفرنسي بجهة الأعراض بتاريخ 2 جوان 1943: إنه عنصر خطيرا على أمن السلطات الفرنسية.

تم اعتقاله مرة ثانية بتهمة مساندته لقوات المحور وتم سجنه بمعتقل في تطاوين وبقي قرابة شهرين قام خلالها بالمطالبة بإصلاح أوضاع المساجين (من خلال لجنة للدفاع عنهم).

وبعد خروجه من المعتقل واصل نشاطه بكل حماس فشارك في مؤتمر دار سليم سنة 1948 حيث طالب بضرورة تحقيق الاستقلال، وفي نفس السنة فكر في إحداث خلايا عسكرية منها خلية في الحامة يترأسها علي فارس وخلية أخرى يترأسها الشيخ علي وكان يشرف على تزويد تلك الخلايا بالأسلحة.

وبعد الحصول على استقلال الوطن شغل خطة والي بجهة قفصة سنة 1958 وعضو المجلس القومي التأسيسي 1956-1956 وبقي عضوا مخلصا للديوان السياسي وتوفي بالعاصمة يوم 18 ماي 1973 ودفن بمقبرة الجلاز.

المصدر:أفادنا بهذه المعلومات

* نجل الفقيد: السيد العروسي دبية، إثر لقاء تمّ في 29 ماي 2006.

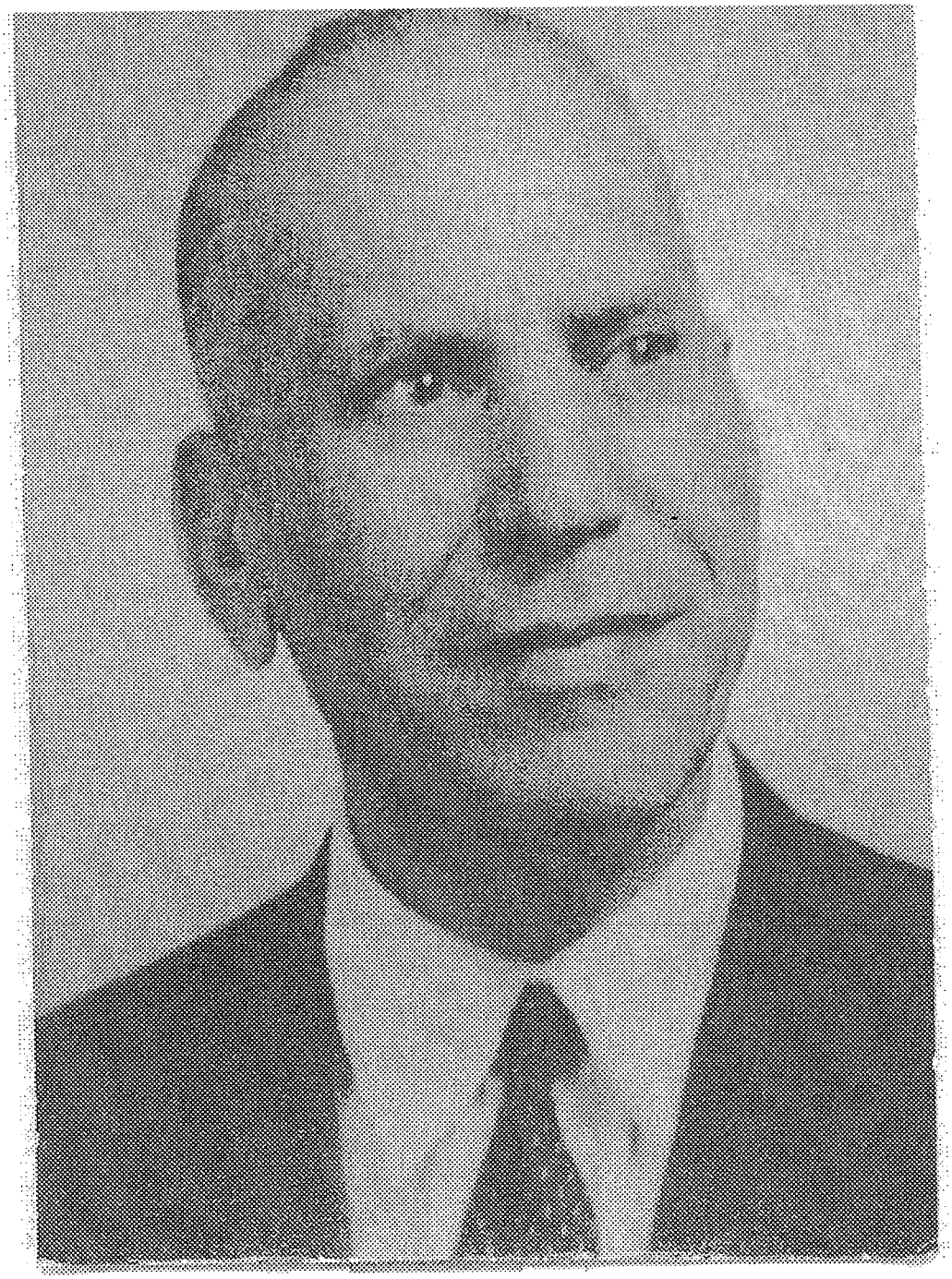

المناضل الطاهر دبية

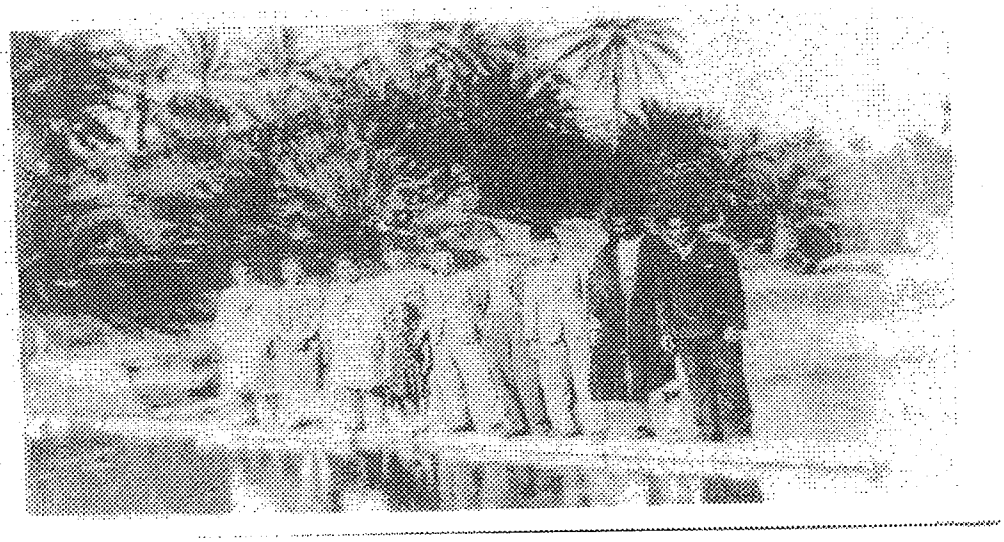

بعض مناضلي قابس مع الطاهر الصفر ومحمود الماطري عندما وقع نفيهم في الجنوب التونسي سنة 1936 ومعهم المناضل الطاهر دبية (الثالث على اليمين)

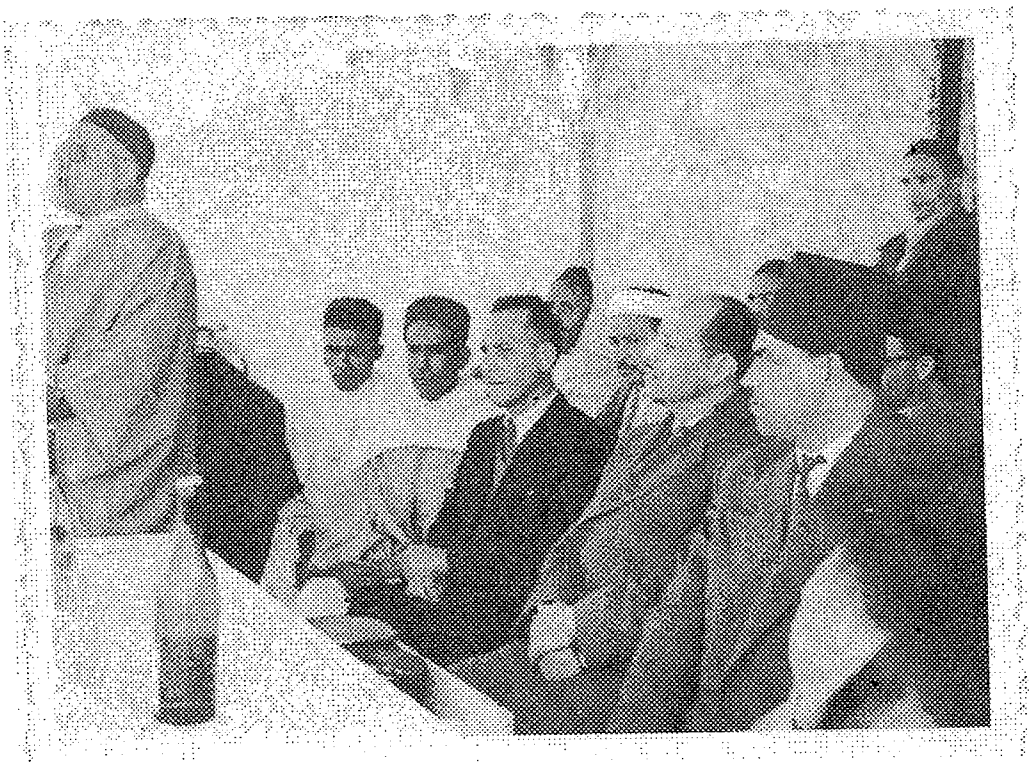

بعض أعضاء الحزب يتوسطهم الطاهر دبية وجلولي فارس

وعبد الله جراد يقوم بخطبة أمام الجامع الكبير بسوق المنزل (بعد الاستقلال)

المصدر: ابن المناضل الطاهر دبية الاستاذ العروسي دبية

المناضل الطاهر دبية مع بعض زعماء الحزب الحر الدستوري التونسي سنة 1931

(الأول على اليمين)

المناضل الطاهر دبية (والي قفصة)

يصافح الزعيم الحبيب بورقيبة (1958)

المصدر: ابن المناظل الطاهر دبية: مصدر سابق

المنـــاضـــل جلولـــي فـــارس

(- 1907)

وهو جلولي بن عثمان فارس، ولد سنة 1907 في حامة قابس، زاول تعليمه هناك إلى أن تحصل على الشهادة الابتدائية ثم انتقل إلى العاصمة لمواصلة الدراسة بالمدرسة الصادقية وذلك سنة 1918-1919.

أحرز على شهادة البروفي في سنة 1921 ثم انقطع عن إتمام دراسته الثانوية لأسباب مجهولة لكنه انخرط فيما بعد في المدرسة العليا للغة والآداب العربية مدرسة العطارين إلى أن تحصل على شهادتها التي كانت تعتبر معادلة لشهادة الباكلوريا. ورغم ذلك فقد حرص جلولي فارس على مواصلة تعليمه الثانوي فسافر إلى فرنسا حيث أحرز على شهادة الباكلوريا هناك سنة 1929.

واصل تعليمه بالجامعة حيث التحق سنة 1930 بكلية الآداب بباريس حيث واصل دراسته في قسم اللغة العربية مدة 3 سنوات ثم رجع إلى تونس سنة 1933 قبل الحصول على الإجازة.

و أثناء فترة دراسته بفرنسا (1930-1933) تعرف على الزعيم الحبيب بورقيبة وتأثر به كثيرا لذلك نراه من مؤيدي الحزب الحر الدستوري الجديد الذي انخرط فيه اثر انبعاثه في 2 مارس 1934 وأصبح من أنشط مناضلي الحزب إذ ساهم بكتاباته ومحاضراته في تطوير حزبه وشارك بفرنسا في عدة اجتماعات اشتراكية وشيوعية إذ كانت تربطه علاقات كثيرة بالبرلمانيين اليساريين.

وإثر عودته إلى تونس سنة 1933 تقلد عدة وظائف: مكررا بالمدرسة الصادقية 1933-1935 مع مواصلة دراسته بالمراسلة إلى أن أحرز الإجازة في اللغة والآداب العربية ثم قيما عاما بالقسم الداخلي من المدرسة الصادقية من سنة 1935 إلى سنة 1943 فأستاذ اللغة العربية بالمعهد الفني لتونس معهد إيميل لوبي(1943-1944) تم أستاذ اللغة والآداب العربية بالمدرسة الصادقية (1944-1946) ولقد كان نشاطه الوطني الحزبي مكثف داخل البلاد وخارجها إذ كانت مساهماته فعّالة بفرنسا خاصة بين 1946و1949.

عاد سنة 1949 إلى أرض الوطن ليشارك في المعركة الحاسمة يوم 18 جانفي 1952 فتعرض للاعتقال ولم يفرج عنه إلاّ سنة 1953 لأسباب صحية وواصل بعد ذلك نشاطه السياسي سنة 1955 فكثف عمله بالخارج حيث اتصل بالمناضلين واللاجئين بليبيا والشرق الأدنى. تحول إلى جنيف حيث اجتمع مع صالح بن يوسف ثم جدد انتخابه عضوا في الديوان السياسي خلال مؤتمر صفاقس(15 نوفمبر 1955) ثم تقلد بعد ذلك منصب رئيس بلدية الحامة ووزير المعارف من سبتمبر 1955 إلى أفريل 1956 ثم منصب رئيس مجلس الأمة بين 1959 و1964 وأخيرا منصب رئيس لجنة المقاومين والمناضلين من 1987 إلى آخر حياته.

المصدر:

الساحلي (حمادي): **إحياء ذكرى المناضل جلولي فارس، حياة حافلة بالكفاح في سبيل استقلال تونس** في "**المجلة الصادقية**"، العدد 26، أفريل 2002.

المنـــاضـــل الحسيـــن عـــزيـــز

(1917- 1989)

وهو الحسين بن الحاج عزيز الشيباني ولد يوم 5 مارس سنة 1917 بجهة قابس وتحصّل على الشهادة الابتدائية ثم واصل بعدها دراسة 3 سنوات لينقطع فيما بعد ويحترف مهنة النجارة.

كان دستوري منذ صغره، حيث انخرط بالحزب سنة 1934 من خلال حضوره الاجتماعات و اللقاءات في شعبة المنزل سنة 1934 ثم تقلد رئاسة شعبة جارة وفيما بعد أصبح عضو بجامعة الأعراض، وشارك في أحداث 9 أفريل حيث القي عليه القبض في أفريل 1938 وأطلق سراحه ثم قبض عليه مرتين سنة 1939 وفي سنة 1952 سجن بقابس ومنه ابعد إلى محتشد تطاوين. وساير الحركة التحريرية من أولها إلى آخرها وكان من مؤسسي الاتحاد الجهوي للشغل بقابس والاتحاد الجهوي للصناعة والتجارة بها كما قام بمهمة رئيس بلدية قابس بعد الاستقلال.

المصدر:

مجموعة وثائق مدنا بها ابنه السيد عزام عزيز.

المناضل عبد الله الغنوشي

(- 1919)

عبد الله بن محمد بن صالح الغنوشي ولد في 13 نوفمبر 1919 بقابس،
كان عضوا بشعبة جارة الدستورية من 1938 إلى 1957 تحمل عدة مسؤوليات حزبية
سجن من أجلها حسب وثيقة من الديوان السياسي تحت رقم 2500.
تحصّل على وسام الاستقلال ووسام الشغل ووسام الشرف الفضي من لندن

المصدر:

الغنوشي عبد الله: **مذكرات مناضل سياسي**. بدون تاريخ. موجود بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

المنـــاضـــل الصحبـــي بـــن خليـــفة

(1915 - 1985)

المناضل الصحبي بن علي خليفة، ولد في 25 ديسمبر 1915 بقابس، دخل الكتاب لحفظ القرآن ثم المدرسة الابتدائية حيث وصل إلى السنة السادسة ودخل بعد ذلك معركة الحياة فعمل لمدة قصيرة في مقهى ثم في مخبزة ثم عمل في التجارة وفتح بعد ذلك دكانا أصبح يستعمله مكانا للقاء المناضلين والمقاومين.

كان من أول المساهمين في تأسيس شعبة دستورية تابعة للحزب الدستوري الجديد سنة 1934 وبقي في النضال والكفاح متعرضا لشتى أنواع العذاب والنفي والسجن إلى أن تحصلت تونس على استقلالها.

عيّن سنة 1957 "شيخ تراب" أي عمدة حاليا بالمنطقة الأولى بقابس إلى سنة 1969 ثم انتخب من طرف فلاحي جهة المنزل أمين مال التعاضدية الفلاحية "النصر" إلى أن وافاه الأجل يوم 28 ماي 1985.

المصدر:

أفادنا بهذه المعلومات ابن المناضل الصحبي خليفة السيد علي خليفة إثر لقاء تـــمّ معـــه بتاريخ 25 مارس 2006.

المناضل الصحبي خليفة

المناضـــل الطاهـــر دعيـــب

(1903 – 1988)

الطاهر بن بلقاسم بن الحاج محمد دعيب ولد بمشيخة الدبدابة بحامة قابس سنة 1903 ينحدر من وسط عائلي مترفة.

زاول تعليمه بالكتاب ثم انتقل أثناء الحرب العالمية الأولى إلى تونس حيث التحق بجامع الزيتونة وتحصل على شهادتي الأهلية ثم التحصيل.

عمل عند عودته إلى الحامة كاتبا عموميا وكان كثير التردد على العاصمة يواكب أهم الأحداث والتطورات السياسية كما كان من الحاضرين في مؤتمر نهج الجبل للحزب الحر الدستوري الذي انعقد يومي 12 و 13 ماي سنة 1933.

قام الطاهر دعيب بتأسيس شعبة تابعة للديوان السياسي صائفة 1934 وبقي رئيسها إلى غاية عام 1943 حيث انتقل إلى العاصمة بعد هزيمة قوات المحور.

كان عضوا بالمجلس المالي المنتخب في المؤتمر العام بإدارة الحزب نهج التريبنال وعضو بلجنة التحكيم الدائمة المنبثقة عن المجلس المالي ثم كاتبا عاما لجامعة الأعراض سنة 1937.

ألقي عليه القبض بتونس سنة 1945 بتهمة الانتماء إلى المحور كما سجن يوم 24 أوت 1949 مدة خمسة سنوات ونفي بعدها إلى نابل سنة 1953 ولم يرجع إلى الحامّة إلا بعد الاستقلال.

تحصّل سنة 1966على الصنف الثالث من وسام الاستقلال.

المصدر: الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول سيرة المناضل الطاهر دعيب (1903_1988)، مؤسس شعبة الحامة الدستورية الجديدة. في **أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول الجنوب التونسي من الاحتلال إلى الاستقلال 1881-1956**. ماي 2004، جامعة منوبة، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2005، ص 315_316.

المناضل بلقاسم القناوي

(1907 – 1987)

بلقاسم بن عمر القناوي من مواليد 1907 بقرية المطوية، زاول تعليمه بكتاب القرية ثم التحق سنة 1918 للعمل بتونس العاصمة.

انخرط بالحزب الحر الدستوري منذ 1924 وكان من مؤيدي محمد علي الحامي وفي مطلع 1938 كانت ميولاته واضحة نحو جماعة العمل التونسي فانضم إلى نشاطهم وساهم في اجتماعاتهم حيث كان خطيبا بارعا.

شارك القناوي في مؤتمر قصر هلال كأمين مال شعبة ترنجة الدستورية وواصل نشاطه الحزبي زمن المحنة الأولى عند إبعاد أعضاء الديوان السياسي فكان القناوي العنصر البارز والمحرك لمظاهرة 28 مارس 1935 التي أدت إلى نفيه إلى برج الباف حيث قضى سنة كاملة.

وبعد الإفراج عن الزعماء تضاعف نشاطه على الصعيدين السياسي والنقابي، فكون نقابة خاصة بصناع الكرارطية في أواخر 1936.

نشط القناوي في المجال السياسي والنقابي إلى غاية 1938 وواصله في سنة 1946 عند تكوين جامعة الصنايعية وصغار التجار. وبعد الاستقلال حاول بعث شركات تعاونية ضمت خاصة أبناء المطوية المستقرين بتونس العاصمة.

توفي بلقاسم القناوي يوم 28 فيفري 1987 ودفن بمقبرة الجلاز بتونس العاصمة.

المصدر:

بلقاسم القناوي: **مذكرات نقابي وطني**. تحقيق وتعليق فريد بن سليمان. تونس، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 1998، ص 10 و 11.

المناضل الطيب بن بلقاسم ناجح

(-1918)

الطيب بن بلقاسم ناجح من مواليد 1918 بحامّة قابس، تتلمذ بالكتاب ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بالعاصمة حيث التقي بأبناء بلدته أمثال صالح صدوقة والطيب شريف المنخرطين بشعبة الحامّة بتونس، فانجذب بسرعة إلى العمل السياسي حيث شارك في المحاضرات واللقاءات التي كانت تعقد بجامع الزيتونة.

كان الطيب بن بلقاسم من المؤيدين لجماعة العمل التونسي حيث انخرط في الحزب الحر الجديد.. ساهم في تأسيس شعب دستورية بالحامة ومثل رئيس الشبيبة لشعبة الحامة سنة 1937 كما شارك في مظاهرة 9 أفريل 1938 بالعاصمة.

ألقي عليه القبض سنة 1945 حيث مكث 18 يوما بسجن الحامة كما قام في نفس السنة مع ثلة من مناضلي الجهة بالتخطيط للقيام بثورة مسلحة لكن اكتشف أمرهم.

واصل نشاطه السياسي ونضاله الوطني إلى غاية الاستقلال.

المصدر:

شهادة الطيب بن بلقاسم ناجح المسجلة بالحامة أيام 12 و13 و14 أفريل 1993 والمحفوظة بالمعهد الأعلى للحركة الوطنية.

الملاحـــــــق

- المصدر: التركي (عروسية):**المقاومة المسلحة بجهة الأعراش 1952-1954**. كليـة العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 1988-1989. ص 40.

المناضل محمد الشناوي (الشخص الثالث على اليمين مع
محمود الماطري والطاهر صفر سنة 1936

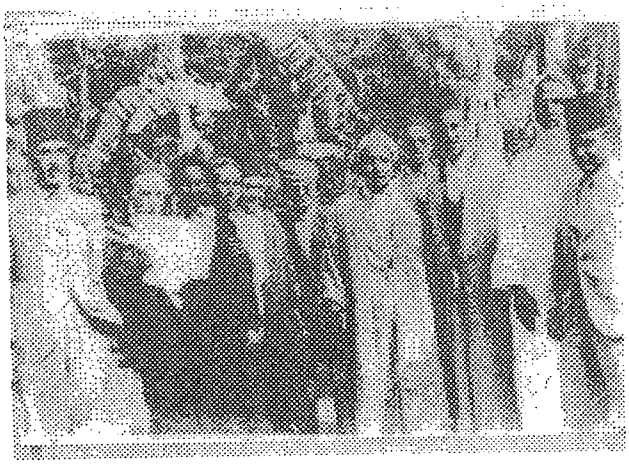

بعض مناضلي جهة قابس سنة 1936 مع بعض
زعماء الحزب المنفيين بالمنطقة

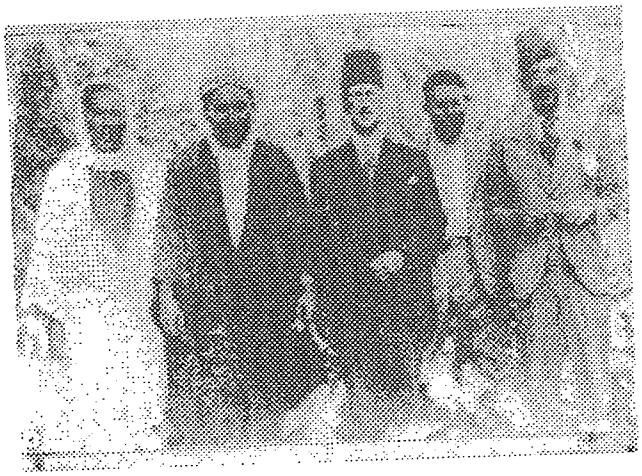

بعض مناضلي جهة قابس مع الزعماء المنفيين
مثل محمود الماطري والطاهر صفر (سنة 1936)

بعض مناضلي جهة قابس مع زعماء الحزب الجديد
سنة 1936 في إحدى واحات قابس

الديوان السياسي
شعبة جارة
قابس

الحمد لله

قـــابس في 16 جانفي 1958

الحسين بن الحاج عزيز الشيبانـي

تشهد هيئة الشعبة الدستورية بجارة قـــابس

ان الاخ المذكور اعلاه ابرز عنصر دستوري في الجيهـة وانه رئيسا للشعبـة المذكورة منذ ما يزيد من خمسـة عشرة سنـة الى الآن .

وانه دستوري منذ الصغر وبدأ يتعرض الى الاخطار وعسف السلط الاستعماريـة بقابس حيث انه القي عليه القبض في افريل 1938 واطلق سراحه .

وفي 1939 القي عليه القبض مرتين وفي 1942 القي عليه القبض ووضع في سجن الجندرمـة بقابس ومنه ابعد الى محتشد جلال ومحتشد تبرسق ثم اطلق سراحه والقي عليه القبض كذلك وابعد الى محتشد رماده ثم محتشد تطاوين ومنه فرضت عليه اقامة اجباريـة بصفاقس ومنع عليه الدخول الى جميع تراب الجنوب التونسي – قفصـة – مدنين – قـابس – لان السلطـة الاستعماريـة تعرف تاثيره على كامل الجيهات المحجرة عليه الدخول فيها وهو الآن رئيس الشعبـة المذكورة وعضو جامعـة الاعراش الدستوريـة .

وهو المكون الاول لعصابـة الثوار الاولى بالجنوب التونسي التي تكونت اذ ذاك الوقـت من المرحوم بلقاسم البازمي والطاهر الاسود حيث انهما خرجا من نادي الشعبـة بعـد ان تم تجهيزهما بالسلاح والمونـة والكسوة والدراهـم واستمر في الاتصال بهما الى ان القـي عليه القبض وابعد الى المحتشدات الواحدة تلو الآخـر . والســـــلام .

عن الهيئـة

الديوان
الشعبة
شعبة جارة
الاعراش

تؤيد الجامعة ما جاء من ملاحظات الشعبة وهي تعتبر الاخ الحسين بن عزيز أب الدستوريين بكامل جهة الاعراش وأول رکن لحركتنا القومية التحريرية

عن الهيئة

الحزب الدستوري التونسي
الديوان السياسي
جامعة الاعراش

الحزب الحر الدستوري التونسي
الديوان السياسي
شعبة جارة
قابس

شـــــــهـــــــادة

قابس في 4 أوت 49 — 1948

تشهد شعبة جارة الدستورية أن السيد عبد الله الغنوشي أمين مال مساعد ورئيس الدعاية قد كلف من طرف الشعبة صحبة الاخوين حسين عزيز رئيس الشعبة والحيناوي الشكلي عضو الشعبة بتكوين لجنة للدفاع عن قضية فلسطين وذلك بجمع الاموال وارسال المتطوعين من الشباب وهم :

1) مصطفى عزيز
2) لطيف قطراني
3) الليتيزي شقرة وعلي ولسان
4) بن قاسا — يونس عمري والهادي الغنوشي
5) حسين الامين وجلال بوبكر لامين الذان توفيا
6) عبد السلام التواتي — شاب جزائري فرنسي أيضا (يتباع)

وبعد نكبة 1948 كلف ثانية من طرف هيئة الشعبة بجمع الاموال بصفة لجنة اللاجئين الفلسطينيين، وفي سبتمبر 1948 كان ضمن أعضاء هيئة الشعبة المستقبلين في ميناء سوسة (محل التجارة للاخ حسين عزيز) للبطل الشجاع عبد القادر حسين ابن اخت الحاج أمين الحسين مفتي الديار الفلسطينية القاطن بمصر حاليا مصحبا بزوجته الالطية أخت زوجة القائد فوزي القاوقجي قائد جبهة فلسطين وحدثنا عن بطولة الشباب التونسي المتطوع الذي شارك معه في بعض المعارك أمثال مصطفى عزيز والليتوري شقرة وغيرهم من متطوعي قابس خاصة عندما غادر قابس أحد طيارات الال بالدن هي الزعيم المصري سليم أمين حال الحزب متوجها الى طرابلس ليبيا ، وبعد شهرين أبلغ أمين مال الحزب أن السيد أمين الحسين قد سلم جميع هذه الاموال الى نائب تونس بمكتب المغرب العربي بمصر بالقاهرة ٪

الحزب الحر الدستوري التونسي
الديوان السياسي
شعبة جارة
قابس

رئيس الشعبة
الحسين عزيز

GABES, le 3 Janvier 1954

SECRET/CONFIDENTIEL

COMMANDANT SUPERIEUR
DES TROUPES DE TUNISIE

SUBDIVISION DE GABES &
TERRITOIRES DU SUD TUNISIEN

ETAT-MAJOR - 2e BUREAU

N° 4 /2/SC

=o= D E C I S I O N =o=

=o-o-o-o-o-o-o-o-o-

Le Général Commandant Supérieur des Troupes de Tunisie,

Vu le Décret Beylical du 1er Septembre 1939,

Vu le Décret Beylical du 7 Octobre 1943, et notamment le paragraphe 2 de l'article 3,

Vu l'arrêté résidentiel en date du 17 Janvier 1952, chargeant l'autorité militaire de l'exercice des pouvoirs d'éloignement déterminés à l'article 4 du décret Beylical du 1er septembre 1939, paragraphe 1 et 2,

D E C I D E

ARTICLE PREMIER

M. Houssine ben Hadj Hzaz

Domicilié à Gabès

se verra notifier l'interdiction de l'accès du Contrôle Civil de Gabès - Gafsa - Djerid - Nefzaoua - Tataouine

et déclare vouloir résider à Sfax

ARTICLE 2 : Les autorités civiles et militaires sont chargées de l'application de la présente décision dont les dispositions sont immédiatement applicables.

Le Général de Division CABAY
Commandant Supérieur des Troupes de Tunisie

Pour le Général de Division CABAY,
Commandant la Subdivision de Gabès et les T.S.

Le Colonel [illegible]

SUBDIVISION DE GABES

Pris connaissance

N.B. : En cas de non observation de ces prescriptions, l'intéressé s'exposerait aux sanctions prévues par l'Art. 1 du décret du 2-6-

NDEMENT SUPERIEUR
ROUPES DE TUNISIE

RMERIE NATIONALE

N DE TUNISIE

GNIE DE SFAX

ON DE S F A X

DE DE G A B E S

N° I5/4

GABES, le 7 Octobre 1944

RAPPORT de l'Adjudant DUHAMEL, Commandant la Brigade,

Sur le mouvement du parti destourien dans la région de Gabès.

REFERENCE: Instruction n° 468/2-Légion du 9/6/1944.

Au début d'octobre 1944, le Président du Parti Destourien en Tunisie, HABIB BOURGUIBA devait venir visiter la Section de Gabès, ainsi que celle du Sud-Tunisien.

Le bruit circule à la résidence que les barrages effectués par les autorités avaient uniquement pour but d'empêcher le Président de pénétrer dans la circonscription de la brigade et que cet accès lui aurait été signifié par la brigade de MAHARES, lors de son passage dans cette localité, pour venir à Gabès.

Une lettre cryptographique du Parti Destourien de Tunis, datée du 20 Septembre 1944, a été adressée à MOHAMED BEN NAFTI BEN GHAIEB, Amine de Leffa, à DJARA-GABES, (membre du Parti de Gabès), l'informant de la visite que devait faire le Président HABIB BOURGUIBA, à GABES, en vue de réveiller l'esprit destourien, depuis la libération de la Tunisie, jusqu'à ce jour.

A cet effet, le vendredi 29 Septembre 1944, après la grande prière hebdomadaire, un rassemblement des membres du parti, a été effectué devant la Grande Mosquée. MOHAMED BEN NAFTI BEN GHAIEB, (titulaire de la lettre) a invité ses partisans à se réunir à 21 heures 30, au domicile de EL HADJ EL HABIB EL MEDDEB, commerçant à DJARA, habitant une maison d'habitation, située au fond d'une impasse, rue d'Auvergne, à Djara-Gabès.

A l'heure prescrite les assistants n'étaient pas nombreux, il y avait uniquement que les membres du parti, c'est-à-dire :

MOHAMED BEN NEFOUSSI BEN ABDALLAH, Président de la Cellule Destourienne de Gabès, ancien Amine des vivres du Marché couvert, demeurant à Menzel-Gabès.

DJILANI BEN SGHAIR BEN AZOUZI, Vice-Président, (ex-interné de Tataouine), commerçant à Djara-Gabès.

DJELLIDI BEN AZOUZI, Trésorier, Cheikh de Djara-Gabès.

MOHAMED BEN NAFTI BEN GHAIEB, informateur, demeurant à Djara-Gabès.

BRAHIM BEN MOHAMED BEN GHAIEB, membre, commerçant, demeurant à Djara-Gabès, (ex-interné de Tataouine).

EL HADJ EL HABIB BEN MOHAMED SALAH EL MEDDEB, Commerçant

SENOUSSI BEN HADJ MAHMOUD BEN DJENNI, rentier, demeurant à Djara-Gabès.

ALI BEN HADJ BRAHIM BEN FLAH, membre, commerçant en laines confectionnée, à Djara-Gabès. (Individu très actif par sa propagande.)

ABDELAZIZ BEN KILANI BEN SADOK BEN REDJEB, membre, commerçant à Djara-Gabès. (Individu très actif par sa propagande).

BRAHIM BEN AHMED TAHBET, agent de propagande, demeurant à Djara-Gabès.

TAHAR DBAIA, membre actif du Parti, avocat défenseur, ex-interné de Tataouine, demeurant à Menzel-Gabès, n'a pas assisté à la réunion pour cause de maladie.

NOTA: Le partisan EL DAHRI BEN AHMED OHINE, propriétaire à Djara, a été envoyé spécialement à Tunis, par le parti de Gabès. Il est rentré le 5 Octobre 1944 et le résultat de son déplacement est inconnu jusqu'à ce jour.

D'autre part, le 7 Octobre 1944, un petit incident a eu lieu entre un israélite et musulmans au sujet du pain au cours duquel l'israélite a proféré des injures à l'égard du Marabout de Sidi-Boulbaba. Mr le Caïd de Gabès, qui a été saisi de l'affaire, a fait incarcérer l'israélite et les musulmans du parti destourien attendent le résultat de l'enquête.

signé : DUHAMEL.

N° 9144/3-S. Transmis à Monsieur le Général Commandant Supérieur des Troupes de Tunisie (2° Bureau), à TUNIS.

TUNIS, le 12 Octobre 1944

Le Lt-Colonel COUTHURES, Commandant la Légion de Gendarmerie de Tunisie,

Reçu au Bureau des Troupes de Tunisie le 13.10.44.

SUBDIVISION DE GABES

SECURITE MILITAIRE

N° 884 S.

ORDRE D'INTERNEMENT

Nous, Lieutenant-Colonel NUSSARD
Commandant la Subdivision de GABES

Vu la loi sur l'état de siège,

Attendu que le ci-après nommé est un personnage influent et dangereux qui n'a pas cessé de créer des difficultés aux autorités françaises.

A durant l'occupation ennemie de GABES manifesté des sentiments anti-français et favorisé l'action germanophile.

ORDONNONS

l'internement au camp de FOUM TATAHOUINE DE :

TAHAR BEN HAMIDA DEBAYA
tunisien
né à Menzel-Gabes en 1908
de Hamida et de Fatma Bent Khalifat Debaya
Avocat du barreau de Sfax, installé à Gabes.

Le présent est délivré à la Brigade de Gendarmerie pour exécution.

L'intéressé se trouve détenu à la geole du Caïd à GABES.

GABES, Le 2 Juin 1943.

Le Lieutenant-Colonel NUSSARD
Commandant la Subdivision de GABES

Destinataires

M. le Contrôleur Civil GABES
Gendarmerie GABES
Archives (3)

الحزب الاشتراكي الدستوري
لجنة التنسيق الحزبي
بقابس

ع 916 ند

الحمد لله وحده

قابس في 17 ديسمبر 1975

شهادة حزبية

يشهد الكاتب العام للجنة التنسيق الحزبي بقابس أن السيد الصحبي بن الهادي علي خليفة من الرعيل الاول وقد ساهم مساهمة فعالة في الكفاح التحريري حيث كان عضوا بالجامعة الدستورية لعراض وعضو بالمجلس المحلي.

سلمت له هذه الشهادة بطلب منه للاستظهار بها عند الحاجة.

عن الكاتب العام

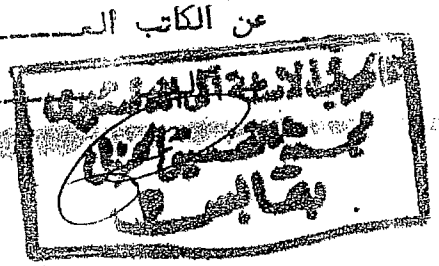

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

I. المصادر:

1. الأرشيفية:

أ. الأرشيف الوطني التونسي:

- سلسلة E ، صندوق 105، ملف 11 وثيقة غير مرقمة.
- سلسلة أ ، صندوق 130 ، ملف رحومة بن أحمد بلهيبة.
- صندوق 42، ملف 474، وثائق 9-10-11
- الأمر العلي عدد 31 الفصل الأول، يوم السبت 29 محرم 1321، 18 أفريل 1903.
- **السجل القومي، شهداء الوطن**: تونس، دار العمل للنشر والتوزيع والصحافة.

ب. الأرشيف الفرنسي:

*** المصلحة التاريخية لجيش البر الفرنسي سابقا (SHAT):**

- تقرير الوكيل دوهاميل (Duhamel) آمر الفصيل حول نشاط : الحزب الدستوري في جهة قـابس أكتوبر 1944) Carton 2 H 214.

- Carton 214, dossier le Néo-destour programme, ligne de conduite (1943-1953).

*** الأرشيف الديبلوماسي:**

- أرشيف الإقامة العامة:

- بكرة 189 المصورة والمحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

- أرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية (Quai d'Orsay):

– **Série Tunisie Fonds de la Résidence**: Bobine Q23, Carton 390, Dossier n°1,2797: Rapport de chef de bataillon le Foud. Chef de Bureaux des affaires indigènes de Medenine à Mr. le Résident G. de la R.F, le 28 Août 1937 date 1933/09 à 1941/10.

– **Archive Diplomatique, Affaires indigène 1937**: Q 23, Dossier 391.

– **Mouvement national Tunisienne (M.N.T) Quai d'orsay** : Bobine n° 649, Tunisie 1944-1949.

– **M.N.T Quai d'orsay** : Bobine 595, Archive n° 27 , Tunisie1944-1949

– **Ministère des relations extérieurs** : Série Tunisie 1944-1949, Dossier numéro 27.

ج. الأرشيف الخاص:

- تقرير صالح قيزة أعده بمناسبة الاحتفال بمرور 55 سنة على تكوين شعبة حـارة الدستورية وحاول فيه تلخيص أهم شهادات مناضـلي الجهـة الـذين حضـروا الاحتفال مثل المناضل عبد الله الغنوشي.
- مجموعة من الصور مدنا بها الأستاذ العروسي دبية.
- صور لـبعض القـادة الدسـتوريين المنفيـين بجهـة الأعـراض سـنة 1936 تحصلنا عليها من شعبة الجيلاني الحبيب بجهة المنزل، قابس.

2. الصحف:

- الصحف الوطنية:

– **"لسان الشعب"**، 22 جويلية 1925، حادثة قابس الأخيرة كيف أعتقل الزعيم عمر إبن قفراش، عصام.

– **"إفريقيا"**، 9 مارس 1925. أحرار المطوية أمام المحكمة الفرنسية سوسة.

– **"النهضة"**، 29 مارس 1935.

– **"الزهرة"**، 16 افريل 1935.

– **"إفريقيا الفتاة"**، 3 فيفري 1943. حياة الحزب. الزعيم ثامر رئيس الحزب يزور شعب الساحل و الجنوب .

– **"النهضة"** 26،27،29 ماي 1945. رحلة المقيم إلى الجنوب التونسي.

– الصحف المستقلة:

–**"Le Petit Matin"**, 27 Mai 1945. Le Général Mast a visité hier Gabès et sa région.

– الصحف القريبة من الإدارة الاستعمارية:

–**"La Dépêche Tunisienne"**, 27 Mai 1945. c'est la visite de Gabès et d'El Hamma que le Générale Mast a consacré la journée de sa midi.

3. المذكرات:

- ثامر (الحبيب): **هذه تونس.** تقديم الرشيد إدريس، مراجعة و تحقيق حمادي الساحلي. بيروت ، دار الغرب الإسلامي.
- خليفة (الصحبي): **كراسات مذكرات** موجودة لدى جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس، تروي لنا أهم أحداث وتحركات الوطنيين بمدينة قابس (المنزل خاصة) من تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد 1934 إلى غاية حصول البلاد على الاستقلال سنة 1956.
- عبد الله (إبراهيم): **شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني (الجزء الأول).** سوسة، مؤسسة سعيدان، بدون تاريخ.
- الغنوشي (عبد الله): **مذكرات مناضل سياسي.** بدون تاريخ.
- الماطري (محمود): **مذكرات مناضل محمود الماطري.** تقديم عز الدين قلوز، تعريف حمادي الساحلي، القاهرة، دار الشرف، 2005.
- الفاسي (علالة): **الحركات الإستقلالية في المغرب العربي.** الرباط، مطبعة الرسالة، 1980.
- القناوي (بلقاسم): **مذكرات نقابي وطني** . تحقيق و تعليق فريد بن سليمان، تونس، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،1998.
- المناضل عمر السراي: شهادات ضمن وثائق تحمل عنوان **الشاهد على قرن... عمر السراي، نضال...وبطولات.**
- المدني (أحمد توفيق): **حياة كفاح** (مذكرات)، **الجزء الأول في تونس** (1905-1925).الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1976.

2. المصادر الشفوية:

أ. التسجيلات المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية:

- شهادة المناضل الطيب بن بلقاسم ناجح: المسجلة بالحامة أيام 12،13،14 أفريل 1993 و المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.
- شهادة المناضل بوبكر عزيز: المسجلة بتونس 26 أفريل 2003 و المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

ب. لقاءات:

- شهادة المناضل بوبكر عزيز إثر لقاء تم معه يوم جويلية 2005.
- شهادة إبن المناضل الطاهر دبية، السيد العروسي دبية أثر لقاء معه تم يـــوم 29 ماي 2006.
- شهادة إبن المناضل الصحبي خليفة السيد علي خليفة، إثر لقاء معه تم فـــي 25 مارس 2006.

3. المصادر الإخبارية:

- **وثائق من المؤتمر العام للحزب الدستوري التونسي المنعقد بمدينة قصـــر هـــلال.** مطبعة الاتحاد نهج الباشا يوم الجمعة 17 ذي القعدة عام 1352، رقم 112.
- ابن أبي دينار:**المؤنس في أخبار افريقية وتونس**.تونس، المكتبـــة العتيقـــة. بـــدون تاريخ.
- إبن أبي الضياف: **إتحاف أهـــل الزمان بأخبار ملـــوك تـــونس و عهـــد الأمـــان.** الجزء الثـــاني، الدار التونسية للنشر،1990.
- التيجاني (أبو محمد): **رحلة التيجاني** ، تونس، الطبعة الثانية،1981.
- الحميري (محمد عبد المنعم): **الروض المعطار في منبر الأقطار.**

– PELLISSIER(E):**Description de la régence du Tunis.** Paris, Imprimerie impérial, 1853.

– Servonnet (J) et LAFFITE (F): **En Tunisie le Golfe de Gabès en 1888**, Barcelone, Gabès, Ecosud, 2000.

II. المراجع

1. الرسائل الجامعية والأطروحات:

- العرنوني (أحمد): **وطن الأعراض بالجنوب الشرقي بالبلاد التونسية في العصر الحديث دراسة في العلاقات بين الجماعات المحلية والمركـــز الحســـيني مـــن ســـنة 1750-1881**.أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث،كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية بتونس، 2001-2000 .

– BERRY (Isabelle):**Quartier et société urbaines:le fauboug de la Medina de Tunis**. Université de Tours, Département de géographie, tome 1er ,1994.

- التركي (عروسية):**المقاومة المسلحة بجهة الأعـراض 1952-1954**.كليـة العلـوم الانسانية والاجتماعية بتونس، 1988-1989.
- الطبابي (حفيظ):**الحزب الدستوري القديم(1934-1938)**. شهادة الكفائة فـي البحـث، تونس، الجامعة التونسية كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 1985-1986.

– Bechraoui (A): **la vie rurale dans les oasis de Gabès**.Tunis, Publication de l'université de Tunis,1980.

– KRAIEM (Mustapha): **Nationalisme et Syndicalisme en 1918-1929** .Tunis, U.G.T.T, 1976.

– Martel(A): **Les confins Saharo Tripolitains de la Tunisie (1881-1911).** Paris, Publication de l'université de Tunis,P.U.F.1965,Tome1.

2. الدراسات الأكادمية:

- بلحولة (محمد علي): **محمد علي الحامي وحوادث الأيام**. تونس، مطبعـة الإتحـاد العام التونسي للشغل،1985.
- بن جراد (بلقاسم): **قابس عبر التاريخ**. قابس، مطبعة الخدمات السـريعة، فيفـري 2001.
- بوذينة (محمد): **الحرب العالمية الثانية بتونس 8 نـوفمبر 1948 ـــ 13 ماي 1948**. تونس، منشورات محمد بوذينة الحمامات، 1997.
- الشايبي (محمد لطفي): أضواء حول سيرة المناضل الطاهر دعيب (1903-1986) مؤسس شعبة الحامة الدستورية الجديدة. **في أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول الجنوب التونسي من الإحتلال إلى الإستقلال (1881ـــ1956)**. جامعـة منوبـة، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، 2005.

- الشريف (محمد الهادي):**تاريخ تونس في عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال.** تعريب محمد الشاوش- محمد عجينة، الطبعة الثانية، سراس للنشر.
- الطبابي (حفيظ): **محمد علي الحامي(1890-1928)**.تونس ، منشورات المعهد الاعلى لتاريخ الحركة الوطنية، سلسلة مناضل و أثره عدد4، 2005.
- فروة (محمود): المقاومة المسلحة في تونس خلال القرنين التاسع عشر و العشرين مثال قبيلة بني زيد (جهة الأعراض). **أعمال الندوة الدولية السابعة حول المقاومة المسلحة في تونس في القرنين التاسع عشر و العشرين**، تونس، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،1995.
- القسنطيني الكراي: **الاحتياج والمحتاجين بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي 1885-1918.** تونس، مركز النشر الجامعي، 1999.
- **لمحة عن تاريخ الحزب الدستوري التونسي 1934-1964. 30 بعث أمة... وبناء دولة**، نشر كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، أكتوبر 1964.
- **لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري 1934-40،1974 بعث أمة .. وبناء دولة**، الوزارة الأولى، تونس، مارس 1974. لمحة عن تاريخ الحزب الاشتراكي الدستوري 1934-40،1974 بعث أمة .. وبناء دولة، الوزارة الأولى، تونس، مارس 1974.
- المحجوبي(علي): **جذور الحركة الوطنية التونسية (1904-1934).** ترجمة أ.عبد الحميد الشابي، قرطاج، بيت الحكمة، 1999.
- المحجوبي (علي): **الحركة الوطنية التونسية بين الحربين**. تونس، منشورات الجامعة التونسية، 1986.
- المرزوقي (محمد):**قابس جنة الدنيا**.مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، 1962.
- المرزوقي (محمد): **صراع مع الحماية**. تونس، دار الكتب الشرقية، 1973.
- المرزوقي (محمد): **دماء على الحدود**. تونس/طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1975.
- المرزوقي (محمد): **محمد الدغباجي**. مطبعة المنارة،1979.
- المكني (عبد الواحد): **أهالي الجنوب التونسي بالحاضرة**. في **أعمال الندوة الدولية الثانية عشر حول الجنوب التونسي، من الاحتلال إلى الاستقلال (1881-1956)**، جامعة منوبة، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،2005 .

– Ahmed (Khaled) : **Documents secrets du 2ème bureau**, Tunisie Maghreb, dans la conjencture du pré-guerre 1937-1940.Tunis, Société Tunisienne de diffusion,1983.

- AYADI (T): **Mouvement réformiste et mouvement populaires à Tunis** 1906-1912. Tunis, Publication de l'Université de Tunis, 1986.

–DELLAGI (M): **Répression et résistance, Synthèse de documents secrets.** Maison Tunisienne de l'Edition, Sans date.

- Hachmi (K) et Mahjoubi (A): **Quant le soleil s'est levé à l'ouest, Tunisie 1881 impérialisme et résistance**. Tunis, Cérès Production, 1983.

- LIAUZU (C): Salariat et mouvement ouvrier en Tunisie, crises et mutations (1931-1939). Paris, C.N.R.S, 1978.

- Ganiage (J) : **Histoire contemporaine du Maghreb de 1830 à nos jours.** Edition Fayard, Janvier 1994.

- ROUISSI (M): **Population et société au Maghreb,** Tunis, CèrèsProd,1977.

2.المقالات

- بوزيد (الامجد): بعض المواقف السياسية والنتائج للحرب العالمية الثانية بقابس. في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية**، عدد6، فيفري 1987.
- التركي (عروسية): ذكريات عن تاريخ قابس المعاصر للمناضل علي الساحلي، في **مجلة جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية**، عدد 2، ديسمبر 1985.
- التركي (عروسية): 9 أفريل كما يرويها المناضل عبد الله الغنوشي في **مجلة البحوث والدراسات التاريخية**، عدد 6، سنة 1987.
- التيمومي (الهادي): خواطر حول دور الأرياف في الحركة الوطنية التونسية بين 1881–1956. في **روافد** ج 1، عدد1، 1995.
- جلاب (الهادي): ملامح من النشاط الوطني بمدينة قابس في بداية العشرينات. في المجلة التاريخية المغربية، عدد 38–84، جويلية 1996.

- حسن (عبد الحميد):مساهمة أبنـــاء المطويـــة فـــي الحركـــة الوطنيـــة 1920-1956. الكراسات التونسية، عدد مزدوج 141-142، 1987.
- الزريبي (الهادي): ثورة 1915 و دور مشايخ الحامة فيها. في **الحياة الثقافية**. عدد97، 1998.
- الساحلي (حمادي): إحياء ذكرى المناضل جلولي فارس، حياة حافلة بالكفاح في ســبيل استقلال تونس. في "**المجلة الصادقية**"، العدد 26، أفريل 2002.
- الشايبي (محمد لطفي): ثنائية الفكر الاصلاحي والعمل الوطني فـــي نضـــال الطـــاهر الحداد: المنطلقات والمعوقات(1920-1935)، في **روافد**، عدد 6 ،2001.
- ضيف الله (مصطفى): مذكرات صالح الشين. في **مجلة جمعية البحـــوث والدراســـات التاريخية والجغرافية بقابس**، عدد5، مارس 1986.
- المحجوبي (علي): مقاومة السكان التونسيين للإحتلال الفرنسي. في **المجلة التاريخية المغربية**، عدد 33-34، جـــــــوان 1984.
- المنياوي (حسن): مشاركة قابس في المسيرة النضـــالية (1934-1954)، فـــي مجلـــة **جمعية البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية بقابس**، عدد 2، ديسمبر 1985.
- المنصر (عدنان): المذكرات الثأرية أو محاكمة الماضي قـــراءة فـــي بعـــض نمـــاذج المذكرات السياسية التونسية المعاصرة. في **روافد** عدد 1، 1996.
- المنصر (عدنان): حول مسألة تعاطف التونسيين مع المحور أثنـــاء الحـــرب العالميـــة الثانية، في **روافد**، عدد 3، 1997.

- Bessis (Juliette): Sur Moncef bey et le Moncefisme la Tunisie de 1942 à 1948 .In **Maghreb Questions d'histoire.** Paris, l'Harmattan, 2003.
- CHAIBI (Med Lotfi): Profils du national et contours du colonial dans le Maghreb des années vingt. In **Les années vingt au Maghreb.** Université de La Manouba, ISHMN,2001.
- CHAIBI (Med. Lotfi) : Préliminaires à l'étude de la résistance armée nationaliste dans la région de l'Aradh (1952-1954). In **Rawafid,** n°2 , 1996.
- Kraeim (A.) : La résistance de Gabès à l'occupation française en 1881.In **Les Cahiers de Tunisie,** n°143-144,1er et 2 ème trimestres 1988.

الفهرس

الفهـــــرس

مـقـــدمـــــة.....1

تعريف جهة الأعراض.....4

1. تحـديد المنطقـة جغرافيـا.....4

4. تحـديد المنطقـة إداريـا.....5

5. أهم مناطق جهة الأعراض.....5

الفصل الأول: جذور المقاومة عند أهالي الأعراض.....9

1. نزعة الاستقلالية لدى أهالي الأعراض.....10

أ. نزعة الاستقلالية لدى أهالي الأعراض قبل الاحتلال الفرنسي.....10

ب. مقاومة أهالي الأعراض للاحتلال الفرنسي(1881).....12

2. بروز العمل السياسي المنظم و أهمية نازحي الأعراض و دورهم في الحركة الوطنية.....18

أ. نشأة الحزب الحر الدستوري و انخراط أهالي الأعراض فيه.....18

ب. مساهمة نازحي الأعراض في الحركة الوطنية.....21

3. تراجع الحزب الحر الدستوري و محاولات إحياء الحركة الوطنية.....25

أ. قمع مناضلي الأعراض و صمت اللجنة التنفيذية.....25

ب. العوامل المساعدة على إحياء الحركة الوطنية من جديد.....30

ج. الخلاف بين جماعة العمل التونسي وأعضاء اللجنة التنفيذية.....32

الفصل الثاني: تطور الحركة الوطنية و تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد.....36

1. تأسيس الحزب الحر الدستوري الجديد و إشعاعه على جهة الأعراض.....34

أ. الإعداد لعقد مؤتمر قصر هلال و مشاركة بعض مناضلي جهة الأعراض فيه.....35

ب. تأسيس شعب دستورية تابعة للحزب الحر الدستوري الجديد داخل منطقـــــة الأعراض و تحرك الأهالي أثناء المحنة الأولى.....38

ج. قيام مناضلي الأعراض بنشر النشاط الحزبي داخل منطقة التراب العسكري بالجنوب التونسي 44

2. انتصار الجبهة الشعبية الفرنسية و استعادة النشاط الحزبي في البلاد التونسية.....46

أ. انفراج الأوضاع و مواصلة تركيز شعب دستورية بالجهة.....46

ب. التواصل الدائم مع الديوان السياسي و تطبيق تعليماته.....49
3. فشل التعامل مع الحكومة الفرنسية و اندلاع أحداث 9 أفريل 1938(المحنة الثانية).....50
أ. انعقاد مؤتمر نهج التريبينال و تأسيس جامعة الأعراش.....50
ب. مشاركة أهالي الأعراش في أحداث 9 أفريل 1938.....52
ج. تشديد المضايقات و الالتجاء إلى العمل السياسي السري.....54
الفصل الثالث: تداعيات الحرب العالمية الثانية و تأثيرها في النشاط الوطني الدستوري بجهة الأعراش.....59
1. تأثير الحرب العالمية الثانية في النشاط الحزبي بجهة الأعراش.....60
أ. تأثير الحرب في جهة الأعراش.....60
ب. انتعاشة الحركة الحزبية.....64
2. عودة المحن و تعسف السلطات الفرنسية بعد انتصار الحلفاء.....69
أ. تتبع المساندين لقوات المحور.....69
ب. مواصلة النشاط الحزبي السري.....71
3. تصاعد حركة تصفية الاستعمار و تكثيف الجهود للمطالبة بالاستقلال.....73
أ. تحرك المناضلين وانتعاش الحركة الوطنية.....73
ب. التوجه بالعمل الحزبي خارج البلاد و المطالبة بالاستقلال (نشاط جلولي فـــارس).....77
ج. انعقاد مؤتمر دار سليم 17 أكتوبر 1948.....80
خـــاتـــمـــة.....82
تراجم الشخصيات الوطنية أصيلة جهة الأعراش.....85
الملاحق.....99
المصادر والمراجع.....110
الفهرس..... 119